

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:

التواصل الاقتصادي بين المغرب الأوسط والسودان الغربي بين القرنين (2-5هـ/8-11م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ :

أ. خير عامر

إعداد الطالبتين:

- قلمين حنان
- علال أشواق

السنة الجامعية : 1441-1442 هـ / 2020-2021م

شكر وعرفان

بعد أن من الله علينا بالإرادة والأيمان في إنجاز هذا البحث ،
يطيب لي أن أتقدم إلى كل من ساعدني في إتمامه .

بداية أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل المحترم ،
المشرف على مذكرة الماستر : أ. خير عامر الذي أفادنا
بالنصائح القيمة والتوجيهات السديدة .

كما أشكر كل من ساهم في إعداد هذا البحث سواء من
قريب أو بعيد ، وكل أساتذة التاريخ بجامعة المسيلة خاصة
الدكتور حروز عبد الغاني .

حنان قلمين

شكر و عرفان

يقول تعالى "لئن شكرتم لأزيدنكم"

الحمد لله الذي لا تنفتح الكتب إلا بحمده ولا تتم النعم إلا بواسطته ولا تتم الصالحات إلا بنعمه وتوفيقه والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم من بعده

نتقدم بالشكر وفائق الاحترام إلى الأستاذ المشرف "خير عامر" الذي ساعدنا في إنجاز هذا البحث.

دون أن ننسى الفضل الكبير إلى الأستاذ "حروز عبد الغاني" الذي لم يخل علينا بالنصح والتوجيه جزاه الله خيرا والي كل أساتذتنا الكرام طيلة مشوارنا الدراسي والي فايد أمين الذي كان له الفضل الكبير في مساعدتي في هذا العمل .

علاء اشواق

الإهداء

إلى من رباني على الفضيلة والأخلاق الرفيعة ،أبي العزيز
حفظه الله

إلى منبع العطف والحنان والحب والوفاء أُمي الغالية أطل
الله في عمرها .

إلى من لاتحلوا الحياة بدونهم إلى قرة عيني ،إخوتي
وأخواتي وخاصة أخي بوجمعة ،دون أن أنسى :كنزة
،تسنيم، إناس ،محمد .

إلى من كان سندي ودعمي في إتمام البحث، بلال.
إلى من تقاسمت معهم الحياة بسرائها وضرائها ،صديقاتي
بالجامعة خاصة :نجاة وكذا زميلتي في المذكرة أشواق.

حنان قلمين

الإهداء

اهدي ثمرة جهدي هذا إلى اللذان قال فيهما الرحمان
"وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا "أمي
وأبي " حفظهما الله ورعاهما

إلى ضياء دربي ومصدر قوتي زوجي "هشام " وإلى فلذة
كبدتي وقرة عيني ولؤلؤة بيتي ابني "أصيل الأصيل "
وإلى شقيقتي وصديقتي و ونيستي "سيرين " وإلى كل
عائلي الكل باسمه أسامة ياسر وردة دون أن أنسى
الكتكوتة رتال الأصيل

وإلى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد.

علال أشواق

مقدمة

- مقدمة

لعبت الاتصالات بين بلاد المغرب العربي وبلاد السودان دورا كبيرا وهاماً في تاريخ منطقة غرب إفريقيا بوجه عام ، فالعلاقات بين الجانبين قديمة ، سبقت الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي ، إلا أنها تنامت بدخول الإسلام للمنطقة ، فالإسلام رسالة عالمية ، لذلك وجب على المسلمين الأوائل أن يعملوا على نشره وتبليغه لغيرهم حتى يعم أرجاء المعمور ، وتحقيقاً لهذا الهدف خرج المسلمون من بلاد المغرب مقتحمين الفياقي لإيصال صوت الإسلام للأماكن التي كانت معرفة العالم بها . في حكم عدم ، في العصور التاريخية الوسيطة ، لولا دخول المسلمون المنطقة .

وتمكن أهمية إلى وجود جوانب من العلاقات المغربية السودانية في فترة العصر الوسيط لازالت تحتاج إلى إجراء المزيد من البحث لتزداد حقائقها وضوحاً ، كما أن كل مرحلة من مراحل هذه العلاقات تحتاج لأن تختص بدراسة واهتمام لكشف خبايا جوانبها ونفض الغبار عن حقائقها والتثبيت وإعادة النظر ، بناء على ما يستجد من أدلة تسفر عنها البحوث الأثرية والتجارب العلمية ، لتوضيح ما يترتب عن هذه العلاقات .

كما أن الموضوع يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ ألا وهو الجانب الاقتصادي لكلا المنطقتين والتواصل بينهما .

كان اختيارنا لهذا الموضوع مبينا على عوامل موضوعية تتعلق بضرورة البحث في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ، ومدى طبيعية هذه العلاقات ، كون أن جل الدراسات اهتمت وركزت على الجوانب التاريخية والسياسية للعلاقات بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي عموماً أكثر من الجانب الاقتصادي وانطلاقاً من ذلك نحدد إشكالية الموضوع : كيف كانت العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي ؟

واندرجت تحتها مجموعة من الإشكاليات الفرعية التالية :

- ماهي المؤهلات الاقتصادية التي تتمتع بها كل من المنطقتين ؟
 - ماهي الطرق التي سارت عليها التجارة ؟
 - وفيما تمثلت مبادلات المغرب الأوسط والسودان الغربي ؟
 - وماهي الانعكاسات التي نجمت عن هذا التواصل ؟
- وللإجابة عن هذه التساؤلات ، وتماشياً مع المادة العلمية المتاحة ، وحرصاً منا

على إتباع خطوات منهجية ارتأيت تقسيم الموضوع إلى أربعة فصول ، أخذت الرسم التالي :

فصل تمهيدي تحت عنوان :التعريف ببلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي ، حيث تناولنا فيه تعريف منطقتي البحث ، من حيث الموقع والسكان .
أما الفصل الأول فعنوانه المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي وتطرقنا فيه إلى مؤهلات كل من المنطقتين في مجال الزراعة والصناعة والتجارة .

أما الفصل الثاني كان بعنوان : الطرق التجارية بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي فتحدثنا فيه عن أبرز الطرق التي ربطت المنطقتين، وكذا المراكز التجارية التي كانت فاعلة آن ذاك .
والفصل الثالث والذي كان بعنوان: السلع المتبادلة بين الإقليمين ، خصصناه للصادرات وواردات بلاد المغرب الأوسط في علاقته مع السودان الغربي وختمناه بانعكاسات التواصل الاقتصادي بين الإقليمين .
وذا لك بالاعتماد على المنهج التاريخي مع توظيف آلية التحليل والوصف والتفسير ، في محاولة منا لمعالجة الموضوع.
ولإنجاز أي عمل أكاديمي لابد من الاعتماد علي مصادر نوعية شكلت العمود الفقري للموضوع نذكر منها :

-القلقشندي ، أبو عباس أحمد بن علي (ت 821 هـ /1418 م)
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : تناول فيه ممالك المغرب من الشرق إلى الغرب بكل التفاصيل من حدود جغرافية وأحوال اقتصادية و سياسيه واجتماعية ، ثم تناول منطقة بلاد السودان فتحدث عن برنوا وكانم ،وكان أكثر تركيزه علي بلاد مالي ، في النواحي الاقتصادية تحدث عن استخراج الذهب وتصديره
- ابن عذارى المراكشي (ت 695 هـ /1295م)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : من أهم المصادر التي أرخت لبلاد المغرب من الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري، تضمن الكتاب علاوة علي النواحي التاريخية إشارات إلى النواحي الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية .

- الإدريسي ، أبي عبد الله محمد الشريف (ت562 هـ/1166م)
وصف إفريقيا الشمالية من نزهت المشتاق في اختراق الآفاق : تحدث فيه عن الأنشطة الاقتصادية والطرق التجارية .

-كما اعتمدنا على مراجع وكان أبرزها كتاب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و4هـ لمؤلفه عبد الكريم يوسف جودت ،والذي تناول فيه أوضاع بلاد المغرب الأوسط من الناحية الاقتصادية بشكل مفصل .

لقد واجهتنا أثناء العمل صعوبات عديدة منها قلة المصادر والمراجع التي أرخت لهذه الفترة الهامة من تاريخ العالم الإسلامي من الناحية الاقتصادية ، إضافة إلى ارتباطاتنا المهنية والأسرية التي كانت عقبة في إتمام عملنا ببسر وفوق كل هذا جائحة كورونا وما ترب عنها من صعوبة في التنقل والتواصل وغلق للمكاتب.....إلخ.

الفصل التمهيدي :

التعريف ببلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

أولا : تعريف بلاد المغرب الأوسط

1- الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط

2- سكان بلاد المغرب الأوسط

ثانيا : تعريف بلاد السودان الغربي

1- الإطار الجغرافي لبلاد السودان الغربي

2- سكان السودان الغربي

3- لغات أهل السودان

أولا : تعريف بلاد المغرب الأوسط

1- الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط :

يمثل المغرب الأوسط جزءا من كلمة عامة هي المغرب وقد أطلق العرب كلمة المغرب على تلك المساحة الواسعة التي تلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي¹، ولم تكن بلاد المغرب معروفة بهذا الاسم عند الفاتحين المسلمين حينما زحفت جيوشهم على تلك البلاد² بل أطلق العرب على بلاد المغرب اسم إفريقية الذي كان سائدا آن ذاك لدى البيزنطيين.³

ولإفريقية مفهومان : أحدهما عام يعادل مفهوم الغرب كله والآخر خاص يعني الأجزاء الشرقية وهو ما يعرف عند العرب بالمغرب الأدنى ، ثم بدأ اسم إفريقية يتقلص وبدأ اسم المغرب في الظهور وهو لفظ مرادف للفظ إفريقية عند العرب⁴ ومن المؤرخين من يرى أن لفظ المغرب شامل لكل الأقاليم غرب مصر حتى المحيط الأطلنطي وتوسطه إفريقية ، و أدخل البعض بلاد الأندلس في تعريفه لبلاد المغرب .⁵

حدود بلاد المغرب الشمالية هي البحر الأبيض المتوسط والجنوبية الصحراء الكبرى⁶ يحده من الشرق مصر و من الغرب المحيط الأطلنطي، وكلمة مغرب هي في أصل وضعها اسم إضافي يدل علي مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة الشرق ومشرق بإضافته إلى جهة الغرب.⁷

1 ابن خلدون ، العبر ، دار الكتاب اللبناني ، 1958، ج 6 ، ص 251، أيضا ، ابن عذارى : البيان المغرب ، تر : س. كولان و أ. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ج 1 ، ص 5.

2 حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الاداب بالجاميز، القاهرة، 1947، ص ص 1، 2.

3 ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تر ، عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، 1961، ص 223.

4 الصدر نفسه، ص ص 246، 260.

5 المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963، ص ص 27 ، 29.

6 البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ص ص 21 ، 102.

7 الحسين نعمة عبد السلام ، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الفاطمي ، (ق 1-5هـ) بحث مقدم لنيل درجه الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة ام درمان الاسلامية، 1999، ص 16.

الفصل التمهيدي : التعريف ببلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

اصطلح المؤرخون علي تقسيم بلاد المغرب إلى أقسام كبيرة حسب قربها أو بعدها من مركز الخلافة الإسلامية في المشرق ، وتتمثل هذه الأقسام في:-

1- برقة وطرابلس : وهي أول كور المغرب من جهة الشرق وأخرج بعض المؤرخين برقة وقالوا بداية المغرب بطرابلس.¹

2-إفريقية :وتعبر أول أقاليم المغرب الحقيقي² وتمتد من خليج سرت حتى بجاية غربا³ وبعد الفتح الإسلامي عرفت بالمغرب الأدنى⁴ الذي كانت قاعدته مدينة القيروان وهو ديار بني يفرن ونفزاوة ونفوسة من البربر.⁵

3-المغرب الأوسط : تشمل بلاد المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف المؤرخون الرحالة في ضبط حدودها خاصة الشرقية منها ، فقد كان نهر ملوية يمثل الحد الطبيعي الغربي الذي يفصلها عن بلاد المغرب الأقصى في حين يشير ابن خلدون إلى حدودها الشرقية فيذكر تارة أنها تبدأ من بونة باتجاه الجنوب إلى الأربس فالأوراس فتبسة ويذكر تارة أخرى أن المغرب الأوسط يجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر و متيجة والمدية وما يليها إلى بجاية، وهو يعني بهذا أن نهر الشلف هو الحد الشرقي لبلاد المغرب الأوسط مثلما ذهب إليه بعض المؤرخين، ويرى آخرون أن الحد الشرقي عبار عن خط وهي يبدأ من بجاية باتجاه الجنوب.⁶

وتطل الجهة الشمالية للمغرب الأوسط على البحر المتوسط وتمتاز بساحلها الصخري الصلب الذي تتدافع عليه الأمواج التي تزيد من حدتها الرياح الغربية بحيث يتغدر على السفن المعادية الاستقرار على الساحل ، وفي نفس الوقت تتوفر في هذا الساحل ظاهرة الخلجان التي أقام عليها الرستميون وغيرهم من دويلات المغرب الأوسط موانئهم التي ربطت بلادهم ببلاد المغرب الأقصى والأندلس، وتمتد هذه الخلجان على

¹السلامي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر ومحمد الناصر ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج 1 ، ص 65.

²ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ص 246- 260 ، أيضا ، سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي لليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب .من الفتح حتي قيام دولة الأغالبة والرسمتين والأدارسة ، دار المعرفة ، مصر ، 5، 19، ج 1 ، ص 9.

³يا قوت الحموي ، معجم البلدان ، طباعة دار بيروت ودار صادر ، بيروت ، 1957 ، ج 1 ، ص 322 ، أيضا ، الطاهر محمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1963 ، ص 40.

⁴السلامي ، المصدر السابق ، ص 71 ، أيضا ، القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تع : نبيل خالد الخطيب ، بيروت 1987، ج 5، ص 97.

⁵ابن خلدون ، العبر ، ضبط خليل شحاته ، ط 1 ، دار الفكر 1981 ، ص 135.

⁶عبد الكريم يوسف جودت ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) ، دوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 5 .

الفصل التمهيدي : التعريف ببلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

هيئة أصناف دوائر مثل خليج وهران ،ومستغانم، وتنس، وشرشال¹ .
وتمثل الصحراء الكبرى الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط ، وقد ضمت هذه الصحراء كثيرا من العوامل التي سهلت قيام علاقات تجارية وثقافية وطيدة بين دويلات وحواضر المغرب الأوسط وجيرانهم في جهات السودان الغربي، إذ حفت الصحراء بكثير من المياه و الواحات التي انتشرت في أنحاءها فمكنت القوافل التجارية من القيام بمهامها الاقتصادية وأشهر هذه الواحات والقواعد الصحراوية في صحراء المغرب الأوسط قاعدة ورجلان.²

أما الحدود الشرقية للمغرب الأوسط فتتميز بأنها حدود مفتوحة طبيعيا سهلت اتصال المغرب الأوسط بجهات إفريقيا الجنوب وإقليم طرابلس و جبل نفوسة ، حيث لا توجد هناك فواصل عرضية تعوق الانتقال بين المغرب الأوسط وبين هذه الجهات³، بجانب هذه الحدود الطبيعية التي تمتع بها المغرب الأوسط كانت هناك عناصر السطح المتنوعة، فتمتد في أراضي المغرب الأوسط سلسلت الجبال المعروفة باسم أطلس التل وأطلس الصحراء.⁴

وتحاذي أطلس التل ساحل البحر المتوسط ، فتنقسم شمال المغرب الأوسط إلى ثلاث مناطق تتباين بعضها عن بعض و هذه المناطق هي المنطقة الساحلية، وهي منطقة سهول ضيقة خصبة كثيرة بالسكان، يلي هذه المنطقة: المنطقة التالية وهي الوجه الجبلي من جبال الأطلسي الذي يلي البحر وهذه المنطقة أخصب جهات المغرب الأوسط وأغناها من حيث التربة والغابات ومن هاتين المنطقتين خرجت كثير من الحاصلات الزراعية وغيرها عن طريق الموانئ الرستمية إلى بلاد الأندلس.⁵
أما المنطقة الثالثة فهي المنطقة النجود أو الشطوط وتقع بين سلسلتي جبال الأطلس التلي والصحراوي، وهي منطقة فقيرة التربة قليلة المياه ، لا تسمح الإنسان بدوام الاستقرار لذا فهي قليلة السكان ضعيفة العمران⁶ .

وتمتد بعد ذلك سلاسل جبال الأطلس الصحراوي وهي تنحدر انحدارا شديدا نحو الصحراء وتتميز بأنها منابع لبعض المجاري القصير التي تغذي عدد من واحات

¹ محمد عسي الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي "حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس" (160-296هـ)، ط3، كلية الأدب جامعة المنصورة ، 1987، ص12.

² سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، دار المعرفة 1965 ، ص 16.

³ إبراهيم زرقانة ، المغرب العربي ، معهد الدراسات الإسلامية ، ص5 .

⁴ إبراهيم العدوي ، بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1970 ، ص 10.

⁵ ابن سعيد المغربي ، كاتب الجغرافيا ، منشورات الكتب التجارية ، بيروت ، ط1 ، 1970، ص142، أيضا محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص13 .

⁶ إحسان حقي ، الجزائر العربية ، منشورات الكتب التجارية ، ط1، 1961، ص17.

الفصل التمهيدي : التعريف ببلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

الصحراء، وقد ارتبط أهالي منطقة النجود أو الشطوط - التي تقع بين أطلس التل و أطلس الصحراء - ببدو الصحراء أكثر من ارتباطهم بأهل السهل الساحلي وفي هذا الإقليم ازدهرت فيه المراعي التي أمدت دويلات المغرب الواسط بثروة رعوية¹.

4- المغرب الأقصى : يبدأ من وادي ملوية مع جبال تازا شرقا أما من الغرب فتد حده المحيط الأطلسي ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط ، ومن الجنوب جبال درن²، ويعرف المغرب الأقصى أيضا ببر العدوة³ ببلاد السوس ، وهي ما يلي المغرب الأقصى من جهة الجنوب وتنقسم إلى: بلادتا تامسنا التي تعرف بالسوس الأدنى وحدها الجنوبي جبال درن ، الجزء الآخر بلاد ماسه، وتتصل من ناحية الجنوب بالصحراء المؤدية إلى بلاد السودان⁴.

2- سكان بلاد المغرب

الروم : استوطنت جماعة منهم الشمال الإفريقي قبل البربر⁵ وبعد الفتح الإسلامي سكنوا المدن الساحلية⁶.

اليهود: كانت هجرتهم للمغرب على دفعات⁷، وورد ذكرهم في الكثير من المدن المغربية⁸.

الأفارقة: أشارت المصادر إلى هذه الفئة من السكان بهذا الاسم وأحيانا بالأفارقة أو عجم إفريقية⁹، وهم خليط من القرطاجيين اللاتين والوطنين وفي بعض الأحيان نسبوا إلى أصول رومية¹⁰.

السوادينيون : لم تذكر المصادر صراحة وجودهم كتكتل سكاني في الشمال الإفريقي، غير أن اتصالهم ببلاد المغرب القديم ذكره المؤرخون القدماء باسم الأثيوب ،

¹ محمد أحد حسونة ، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية ، مكتبة النهضة ، مصر ، 1960 ، ص 53.

² الحسن نعمة عبد السلام ، المرجع السابق، ص 17

³ القلقشندي ، مصر السابق ، 147.

⁴ ابن العذاري ، البيان المغرب، 1948 ، ج 1 ، ص 5، 6.

⁵ الاستقصاء ، المصدر السابق ، ص 53.

⁶ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 9 ، 26 .

⁷ الحسن نعمة عبد السلام ، المرجع السابق، ص 19

⁸ الادريسي، وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الافاق، نشر هنري بيرس، الجزائر، 1957، ص 99.

⁹ ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 170.

¹⁰ المصدر نفسه، ص 218.

الفصل التمهيدي : التعريف ببلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

وهناك ما ينم عن استقرار بعضهم في بلاد المغرب القديم¹، واند مجوا في المغاربة و اعتنقوا الإسلام بعد دخول بلاد المغرب وكان لهم تأثير في حياة البلاد السياسية.²

البربر : يسمون أنفسهم الأمازيغ³، وهم أول ما عرف التاريخ من سكان المغرب آثار أصل البربر والمنطقة التي هاجروا إليها من الجدل بين علماء الأنساب والمؤرخين وينقسم البربر اجتماعيا الى مجموعتين البرانس وأكبر فروعهم صنهاجة والقسم الثاني زناتة.⁴

العرب : وهم الجند الذين وفدوا إلى بلاد المغرب اثناء الفتح الإسلامي لهذه البلاد فاستقروا بها ، ومنهم أيضا هؤلاء الذين أرسلهم الخلفاء لبث تعاليم الاسلام ونشرها بين سكان البلاد.⁵

تعريف بلاد السودان الغربي :

بلاد السودان مصطلح أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع بين جنوب الصحراء الكبرى⁶، وسموا بلاها بلاد السودان ،أما أصل هذه التسمية لديهم فقد استوحوا فيه لون البشر عن سكان تلك المنطقة.⁷

والشائع في تعريف هذا الإقليم هو أن كلمة بلاد السودان معناه بلاد السود ،ومن هنا فإن كلمة السودان مأخوذة من اللفظ الذي يدل على جميع البقاع التي يقطنها السود في قارة إفريقيا ، كما أطلق علي تلك المنطقة شبه الصحراوية من إفريقيا التي تغلغل فيها الإسلام.⁸

والسودان هم أصحاب البشرة السوداء⁹ ، في الحزام الممتد من قلب القارة من الغرب إلى الشرق ، ثم تحدد اسم السودان على تلك المنطقة شبه الصحراوية التي تعرف الان بغرب إفريقية .¹⁰

¹ الإدريسي ، المصدر السابق ، ص22.

² البكري ، المصدر السابق : ص 149.

³ محمد دبور ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 1 ، 1964، ص25 .

⁴ ابن حوقل ، صورة الأرض ،بيروت ،1962، ص 101.

⁵ عبد العواد حسن علي حسن ، دولة الإدارة بالمغرب ،"قيمها وتطورها حتي القرن 3 هجري " رسالة ماجستير بكلية العلوم ، 1967 ، ص ص 10 -11.

⁶ بغداد غربي ، العلاقات التجارية للدول الموحدية ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، إشراف محمد بن معمر ، جامعة وهران ، 2015م ، ص 296.

⁷ عبد القادر زباديه ، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين (1493-1591) ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ص 15.

⁸ جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي في القرن 9م ، منشورات بلوتو ، قسنطينة ،الجزائر ، 2011 ، ص19.

⁹ محمد مصطفى أبوا القاسم ،" مصطلح السودان في المصادر العربية و الأجنبية " مجلة الدراسات العليا ، جامعة النيلين ،ع/14، ج1، ص25.

¹⁰الحسن نعمة عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 22.

ويتفق المؤرخون على تقسيم بلاد السودان بوجه عام إقليميا إلى ثلاث مناطق :

1- السودان الشرقي : ويشمل الحوض الأعلى لنهر النيل فقط وهو جمهورية السودان الحالية ويمتد تقريبا من منابع النيل جنوبا حتى حدود مصر الجنوبية شمالا ومن النيل إلى البحر الأحمر باستثناء الحبشة شرقا ومن النيل إلى وادي من السودان الأوسط غربا.¹

2-السودان الأوسط : وهو الجزء المحصور بين دارفور ونهر الكونغو شرقا تحده الصحراء من جهة الشمال ونهر النيجر من جهة الجنوب ويمثل حوض بحيرة تشاد مع بعض أجزاء من نيجيريا وإفريقيا الوسطى .²

3-السودان الغربي :يشمل حوض نهر السنغال ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر .³

ويصف الإدريسي بلاد السودان بقوله " أكثر السودان في جميع أرضهم لأنها بلاد حر ووهج وأهل المدن منها يزرعون البصل و البطيخ ويعظم عندهم كثيرا ولا حنطة عندهم أكثر من الذرة ومنها ينتبذون ويشترون ،وجل لحومهم الحوت ولحوم الابل المقددة".⁴

سكان بلاد السودان الغربي:

ينتشر السكان في منطقة غرب إفريقيا ، إلا أن أكثر الأماكن كثافة سكانية هي المناطق الممتدة على الساحل الغربي ما بين نهر السنغال والكاميرون ، ودلتا نهر النيجر وشمال النيجر وتمثل منطقة غرب إفريقيا موطن الجماعات الزنجية الحقيقية.⁵

ذكر الجغرافيون والمؤرخون العرب أمما من السودان أمكن التعرف على بعضها مثل : الزغاوة* ،البقارة ، التكرور** ، الأفنو و الكانم⁶ ويتضح من كتاباتهم أن الملم***

¹دائرة المعارف الإسلامية ، ج5،ص317،أيضا ، الشاطر عبد الجليل يصيلي : تاريخ حضرات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى التاسع عشر ميلادي ، القاهرة 1972، ص 29.

² أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط3، 1978، ج6،ص329

³ المرجع نفسه ، ص 326.

⁴الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002، ص 21.

⁵في ، جي ، دي ، تاريخ غرب إفريقيا ، تر : السيد يوسف نصر ، ط1، 1982، ص 15.

⁶ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4، 1964، ج2،ص20

*-الزغاوة :هي من بين أول ممالك السودان الذين سلخوا نحو الغرب وأنهم قطعوا البلاد فصارت عندهم عدة ممالك والزغاوة تعني النازلون بالوضع الذي يقال لهم (كانم) للمزيد أنظر ، البيهقي ، تاريخ البيهقي ، مطبعة الفري ، النجف ، 1358هـ، صص165-166.

**-التكرور:برائين مهملتين إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ،وأهلها أشبه الناس بالزنوج ،انظر ،ياقوت الحموي ،المصدر السابق،ص38.

***- الملم :يذكر المؤرخون هذا الاسم "الملم" عندما يتحدثون عن سكان الداخل ، فقد ورد عن الحديث عن السكان الشاطئي الشرقي أن الداخل يسكنه الدمام ، وعند الحديث عن سكان السوان الغربي أنه ليس من جهة الجنوب بعد لمام عمارة تعرف وقد ورد هذا الاسم في المصار بأشكال مختلفة منها مرم ، دم دم ، تمتم.....انظر الإدريسي : وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية ، ص ص 5-24

هم سكان الداخل البعيد¹ ، فالبنسبة للبكري قال عن سكان السودان : (.....وكانو على مايساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور عندهم الصنم).²

ساعد خلو منطقة السودان الأوسط من العوائق الطبيعية على تمازج وانصهار العناصر القادمة من مختلف الاتجاهات³ ومن سكان هذه المنطقة الصو او الساو وهم شعوب سبقت في التاريخ شعوب الكانوري ، وفي كل من كانم او برنو او كوار⁴.

الكانبو : وهم مجموعات عديدة تدعي الأصول العربية⁵، ويمثل الكانوري معظم سكان منطقة بحيرة تشاد ، وكان لوجود العرب واختلاطهم بالعناصر المحلية اثر كبير نتج عنه قبائل السلامة و اليولالا وعرف العرب في هذه المنطقة باسم الشوا⁶، إلى الغرب من منطقة كانم (برنو) توجد قبائل الهوسا التي تمثل اللغة الغربية الرابط فيما بينها⁷ ، وإلى الغرب منهم يوجد السونغي . وهم شعب مزيج بين بربر والسكان الأصليين⁸ ، ويدعون الأصول اليمنية⁹ ، بينما في الغرب يوجد الصوص في إقليم كانياجا ويسمون بالأنكارية¹⁰ ويوجد الماندجو في الأقاليم الواقعة بين النيجر الأعلى ونهر السنغال ، والماندجو هم مجموعة كبيرة تتحدث لغة الماندي وفي أهم فروعهم السوننك في الشمال والمالنك في الجنوب وتدعي جميع فروعهم بالأصول الشرقية ، وعلى امتداد نهر السنغال يوجد التكلور ويجاورهم الولوف والسرر .

لغات أهل السودان:

يتحدث معظم سكان غرب إفريقيا لغات تنتمي إلى عائلة النيجر كنغولية التي تسمى النجيرية¹¹ ، إلى جانب لغة الهوسا واللغات التشادية بالإضافة الى ذلك لهجة التوى (TWI) والإيوي (EWE) واليوربا (YORUBA)¹²

¹ الإدريسي ، المصدر السابق : ص ص ، 10، 5

² البكري ،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، دار لكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ص23.

³ الحسين نعمة عبد السلام ، المرجع السابق ، ص25.

⁴ ديرك لانجي : ممالك تشاد وشعوبها "تاريخ إفريقيا العام" ، اليونسكو ، مجلد 4، فصل 10 ، ص ص 262-263.

⁵ الشاطر بصيلي : المرجع السابق ، ص434.

⁶ الحسين نعمة عبد السلام : المرجع السابق ، ص25

⁷ مهدي أداموا : الهوسا وجرائهم بالدوان الأوسط ، تاريخ إفريقيا العام ، اليونسكو مجلد 4، فصل 11، ص 275.

⁸ الحسن نعمة عبد السلام : المرجع السابق ، ص 26.

⁹ عبد القادر زباديه : المرجع السابق ، ص25.

¹⁰ الفلقشندي : المصدر السابق ، ص 24 .

¹¹ حسين نعمة عبد السلام : المرجع السابق ، ص ص 24 ، 25.

¹² في ، جي ، دي : المرجع السابق ، ص15.

الفصل الأول: المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

أولاً : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط

1 - النشاط الزراعي

أ-المنتجات الزراعية

ب -تربية الحيوان

2- النشاط الصناعي

أ- عوامل ازدهار الصناعة

ب- الصناعات والمهن الرئيسية

3 النشاط التجاري

ثانيا : المؤهلات الاقتصادية لبلاد السودان الغربي

1-الخصائص الطبيعية لبلاد السودان الغربي

أ-المناخ

ب- التضاريس

ج-المياه

2- الأنشطة الاقتصادية في بلاد السودان الغربي

أ-النشاط الفلاحي

ب-النشاط الصناعي

ج-التجارة

أولاً: المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط

1- النشاط الزراعي :

كانت بلاد المغرب الأوسط مزدهرة في المجال الزراعي ، فانتشرت البساتين والمزارع ويظهر هذا من خلال إشارات الرحالة المسلمين ، ومن خلال الإشارة الى رخس الأسعار حتى إن ابن أبي زرع يذكر أنه في سنة 380 هـ "كان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرتة وكان الحراثون يتركونه - ولا يحصدونه"¹ وقد لعبت عدت عوامل وتضافرت حتى وصلت إلى هذا المستوى نذكر أهمها :

- ابن عبدون يذكر أن الفلاحة هي العمران ومنها العيش كله والصلاح جله وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال.....ومنها تدفع الضرائب² وكذلك فإن إخوان الصفا يضعون الفلاحة في الصدارة فيقولون " أما التي بالقصد الأول فتلاثة : الحراثة والحياكة والبناء"³ ومن هنا كان اهتمام أولي الأمر بالزراعة .
- طبيعة بلاد المغرب الأوسط :ساعدت على الازدهار فهي معروفة بخصوبة التربة وتنوعها ووقوعها في المنطقة المعتدلة الدافئة .
- التطور الحاصل في المجال الفلاحي : فقد كان الفلاحين يحدثون ابتكارات وتدابير ووسائل حديثة لمواجهة الطلب المتزايد على الإنتاج الفلاحي ، فعملوا دراسة للتربة ، واستعملوا أدوات جديدة لتسويتها وعملوا على زيادة خصوبتها وحسنوا نظام الري⁴ .
- كذلك فإن التطور العمراني وتزايد السكان في المدن وما يتبع هذا من اشتغال بالمجالات الاقتصادية الأخرى قد أوجد مستهلكين جدداً ، ولم يعد الفلاحون ينتجون للاستهلاك المحلي بل فتح باب التصدير إلى المدن مما أسهم في الازدهار⁵ .
- سياسة الدولة الزراعية : ساعدت السياسة التي اتبعتها الدويلات الإسلامية في المغرب الأوسط على ازدهار الزراعة ، خاصة الرستميين فإنهم لم يفرضوا الضرائب على الناس إلا ما أمر الله به وأوجهه⁶ ، حيث يقول ابن الصغير أن الرستميين اقتصرت جبايتهم على الصدقة والخراج و الجزية ، ويضيف بأن عبد الرحمان ابن رستم قد ساهم في بعض المشاريع التي تخدم الزراعة ، فقد كان اذا فضل مال بعد دفع الرواتب "صرفه في مصالح المسلمين " فيكون قد ساعد الناس

¹ - ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تصحيح ، كارل يوحنا بوزنبرغ ، دار الطباعة المدرسية ، 1963، ص 63.

² - أنو النصر عادل ، تاريخ الزراعة القديمة ، ط1 ، 1960، ص 239-195.

³ - رسائل إخوان الصفا ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1376هـ/1957، ج1، ص 284.

⁴ - عبد الكريم يوسف جودت : المرجع السابق ، ص 26.

⁵ - مورييس لومبيار : الإسلام في مجده الأول ، تر ، إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979، ص 36.

⁶ - عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص 32.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

حتى تمكنوا من الشروع "في العمارة والبناء وإحياء الموات وغرس البساتين وإجراء الأنهار واتخاذ الأرحية والمستغلات"¹.

وقد ساعدت فترة الهدوء التي عاشها السكان ،طيلة حكم الأئمة الرستميين تقريبا على اتساع الميدان الزراعي .

ويختلف الأمر بالنسبة للفاطميين ، فقد كانوا يرمون إلى أهداف بعيدة وتنتظرهم مسؤوليات جسيمة ، فكانوا يدركون والحالة هذه أن الضرائب الشرعية لا يمكن أن تكفي لإعداد قوة جبارة تحقق تلك الأهداف أو تفي بمتطلبات الجيش، وكانوا في نفس الوقت يدركون إمكانية بلاد المغرب الاقتصادية فأوجدوا ضرائب جديدة ، واعتمدوا الحزم والصرامة أساسا في سياستهم المالية² .

وقد توخى الفاطميون العدل ، ويبدو أنهم كانوا لا يتسامحون في أمر فرضوه ولا يؤجلوه وقد كان حزم الفاطميين هذا وتشدهم في جباية الأموال مدعاة لإلحاق النقيصة والطعن في نظامهم المالي ووصفهم بالظلم ، ووصية المعز إلى بلكين حين عزم على الرحيل إلى مصر توحى بهذا الوصف ، ومما جاء فيها "لاترفع الجباية عن أهل البادية ، وهذا لأن أهل البوادي لولا الجباية ما عمروا أرضا ولا سعو في تكسب"³

فكان هدف الفاطميين فرض حياة الاستقرار على القبائل الطاغية للاستفادة من طاقاتها البشرية في إصلاح الأرض وزيادة الإنتاج وبالتالي زيادة دخل الدولة⁴ .

ويبدو أن الزيريين ساروا على هذه السياسة الفاطمية ، فكان لها نتائجها وثمارها فاشتهرت بلاد المغرب الأوسط ببساتينها وحقولها وزراعتها المختلفة ، ناهيك عن الأموال التي تكدست في خزائن الدولة⁵ .

وتعددت ألوان النشاط الزراعي في المجتمع الحمادي ، وتعددت المحاصيل التي ينتجها وقد تحقق في الكثير منها الإكتفاء الذاتي ، وكانت الأرض المحيطة بالمدن والقرى مجالا للنشاط الزراعي ، ففي القلعة الحمادية التي مثلت دور العاصمة لفترة كبيرة "فواكه ونعم يلحقها الإنسان بالثمن اليسير وبلادها وجميع ما يضاف إليها تصلح فيها السوائم و الدواب لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت "⁶

¹- ابن الصغير، تاريخ الأئمة الرستميين، نشر مونتيسكي، أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد في الجزائر 1905، باريس 1908، ص 324,327.

² - عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص33.

³ - ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تح ، محمد شمام ، 1967.

⁴ - عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق، ص33.

⁵ - نفسه ، ص34.

⁶ - نفسه ، ص39.

المنتجات الزراعية :

لقد تنوعت المنتجات الزراعية ومن أهمها :

1- القمح والشعير : تقوم زراعتها بشكل واسع لأنها المادة الغذائية الرئيسية فمنها كان خبزهم ومن جهة ثانية فان هذين النباتين لا يحتاجان إلى أمطار غزيرة ولا يتطلبان أعمال الري وهذا ما يسر مر زراعتهم في كل مكان ، كذلك فهما بالإمكان تخزينهما ¹.

وإذا كان الرحالة قد أهملوا ذكر زراعتهم في بلاد المغرب الأوسط ، فذلك ضمن إهمالهم الحياة الاقتصادية بصفة عامة ، لأن زراعتهم تعتبر أمرا مفروغا منه بدافع ضرورة العيش وعلى أي حال ، فقد أشار ابن حوقل إلى بونة فقد ذكر أن "القمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له" ² ثم أشار إلى رخص الأسعار في مرسى الدجاج الذي ذكره الإدريسي بخصوص أهله أن "حظتهم مباركة" وأضاف بخصوص برشك أن "لأهلها من الحنطة والشعير ما يزيد عن حاجتهم" ³

ويبدو أن سكان بلاد المغرب الأوسط كانوا كغيرهم من سكان بلاد المغرب الأوسط يعرفون أكل القمح فريكا ، ويظهر هذا من عبارة الزركشي "أكل القمح فريكا" ⁴

الخضر والبقول : ذكر الإدريسي مسيلة وأشار إلى أن "لأهلها بقولا" ⁵ على أن هذه المزروعات كانت تعم أرجاء المغرب الأوسط -وذكر ابن البصال من البقول التي كانت معروفة اللفت والجزر والفجل والثوم والبصل والكرنب والقرنبيط والسلق والخس وغيرها⁶، وقد أشار القاضي عياض إلى وجود الخرشف والقرع والبسباس⁷ وغيرها من الخضر، ويبدو أن الرحالة يكتفون عن ذكرها بذكر الجنان أو المزرعة أو البستان هروبا من تعدادها ⁸.

ويذكر ابن بصال عن وجود الحمص والفل واللوبيا والعدس والجلبان والسمسم وغيرها.

¹ عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص 39 . -

² - ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 77 . -

³ - الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 92 .

⁴ - بوروية رشيد ، الفن الرستمي بتاهرت وصدارته ، مجلة الأصالة ، ع 41 ، الجزائر ، 1977 ، ص 184 .

⁵ - الإدريسي ، وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية ، المصدر السابق ، ص 84 .

⁶ - ابن البصال ، كتاب الفلاحة ، معهد مولاي الحسن تطوان ، 1955 ، ص ص 141-161 .

⁷ - القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام الإمام مالك ، تح ، أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1967 ، ص 501 .

⁸ - عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص 42 .

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

ويمكن ترجيح اهتمام السكان بزراعتها، لأنها تجفف فتخزن لتستغل في باقي فصول السنة¹، بالإضافة إلى الجوز واللوز اللذان كثر وجودهما في بلاد المغرب الأوسط خاصة في تلمسان ونقاوس وتبسة وبجاية وجيجل وسطيف، حيث يصف الإدريسي الجوز بقوله "بها الجوز الكثير، وأنه بالغ الطيب حسن ويباع بها رخيص"².

الفواكه: تنوعت الفواكه في بلاد المغرب الأوسط وذكر الرحالة الكثير منها مثل: البطيخ والرمان، الكمثري، البرقوق، المشمش، حب الملوك، التين، التفاح والإجاص الذي يشير ابن البيطار أنه يزرع في بلاد المغرب والأندلس ويسمى عيون البقر بقوله "عيون البقر في بلاد المغرب والأندلس"³ ويشيد الرحالة أيضا بجودة السفرجل، فذكر ابن حوقل أن مدينة تنس بها من "السفرجل المعنق مالا أزال أحكيه لحسن نعومته وحلاوته وطيب الرائحة" ويوافقه الإدريسي في هذا الوصف⁴، كما ذكر ابن حوقل أن مسيلة لهم من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان وأصله من التنس⁵.

الزيتون: شجرة مباركة نزل ذكرها في كتاب الله تعالى، وقد اهتم سكان بلاد المغرب الأوسط بزراعته، وقد أشار ابن الصغير إلى وجود الزيتون في تاهرت فذكر أن الإمام عبد الرحمان بن رستم اشترى زيتا ووزعه على الفقراء⁶، وقد ذكر المقدسي من قرى تاهرت "الزيتونة" التي تكون حملت هذا الاسم من غيابها وسط أشجار الزيتون⁷.

التمر: اهتم سكان المغرب الأوسط بزراعته، فهو طعام يبقى أيام السنة، وتظهر قيمته حين تتعدم الخضر والفواكه، كما أنه زاد المسافرين، وتعتبر مدينة بسكرة من أشهر مواطن زراعتها فوصفها المقدسي بأنها "بلدان النخيل"⁸.

منتجات زراعية أخرى: بالإضافة لما سبق كانت هناك نباتات الحديقة التي تزين الحدائق والقصور والغابات التي شملت مختلف أنواع الأشجار مثل: السرو والبلوط والأرز والعرعار..... الخ، ضف إلى ذلك النباتات الصناعية مثل: الكتان والحلفاء والنيلة⁹.

⁹-ابن البصال، المصدر السابق، ص ص 109-114.

²-الإدريسي، وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية، المصدر السابق، ص 98.

³-ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، المطبعة العامة، 1261هـ، ص 144، ويذكر ابن فضل الله العمري الإجاص وعين البقر كلا على حدة كفاكيتين مختلفتين، وعن زراعتها أنظر، وصف إفريقيا والأندلس ص ص 67، 99.

⁴-ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 78، 89.

⁵-الإدريسي، وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية، ص ص 83، 84.

⁶-ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

⁷-ابن الصغير، المصدر السابق، ص 327.

⁸-المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة برلين ليدن، 1906، ص 56.

⁸ نفسه، ص 230.

تربية الحيوان : جاء في كتاب الله جل شأنه "والأنعام خلقها لكم فيها دفيئ ومنافع ومنها تأكلون"¹ وبالفعل فقد كانت لها منافع عديدة ، فكانت جلودها تستعمل في صناعة القرب ويستفاد من حليبها ولبنها ويصنعون منه الجبن ويستخرجون الزبدة ، وكان يستفاد من صوفها وشعرها وأوبارها في صناعة الملابس والخيام والأغطية ، واستعملت الحيوانات للحمل والنقل والركوب والأعمال الزراعية .²

ومن أهم الحيوانات التي كانت موجودة في بلاد المغرب الأوسط مايلي :

الخيول : يصف القاضي النعمان خيول أبي عبد الله الشيعي- وهي تنتمي إلى المغرب الأوسط - أنها "لم يرى الناس مثلها فيما راه جودة وعتقا وفراهة وصلاحا ليس فيها ساقط ولا منها ضعيف"³ وكان المسلمون بقيادة عقبة بن نافع غنموا من أهل بغاية "خيلا لم يرو في مغازيهم أصلب ولا أسرع منها من نتاج الأوراس".⁴

وكان منها أنواع أهمها : البربري والزناتي والراشدية .⁵

البغال : أشار ابن حوقل إلى وجود البغال في بلاد المغرب الأوسط واستخدمت لأغراض كثيرة خاصة الأعمال الحربية وكانت تفضل أحيانا على الخيول في شدة قوتها وتحملها.⁶

الأغنام : زحرت بلاد المغرب الأوسط بثروة هائلة من الأغنام فكان لشرشال "أغنام كثيرة"⁷ وكذلك المسيلة وكانت لدلس "بها الغنم والبقر موجود كثير وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها كثير من الأفاق".⁸

البقر : أشار ابن الصغير إلى أن الإمام يعقوب بن أفلاح كانت له بقرات⁹ وأشار الإدريسي إلى رخص السمن والبقر والغنم .¹⁰

¹-سورة النحل ، الآية 5.

²-عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص65.

³-القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، تح ، وداد قاضي ، مطبعة دار الكتب ، ط1، بيروت ، 1970 ، ص 218.

⁴عبد الكريم جودت ، المرجع السابق ص67.

⁵ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، تح ، حسين مؤنس ، ط1، القاهرة ، 1963 ، ص293.

⁶عبد الكريم جودت ، المرجع السابق ص67.

⁷الإدريسي ، وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية ، ص90.

⁸-. البكري ، المصدر السابق ، ص ص 87-88.

⁹ ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص361.

¹⁰-. الإدريسي ، وصف شمال إفريقيا الشمالية ، ص 89

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

الإبل : يرى ابن خلدون أن "الإبل من مكاسب أهل النجعة" لذا فهي تتوفر في الصحراء وفي المناطق القريبة منها بصفة خاصة¹. وقد عبر ابن حوقل عن وفرة الإبل في بلاد المغرب .

النحل : اهتم سكان المغرب الأوسط بتربية النحل ، فذكر ابن حوقل أن بربر جزائر بني مزغنة "لهم من العسل ما يجهز عنهم" وأضاف إلى أن أهل تا هرت "يكثرون عندهم العسل"² وكانت شرشال النحل عندهم كثير العسل بها ممكن، وكذلك كانت وهران وغيرها وقد كان العسل يدخل في صناعة الحلويات وفي علاج بعض الأمراض، وكذلك في صناعة النبيذ .

الطيور: ربما حمل مرسى الدجاج هذا الاسم لشهرته بتربيته هذا الطير ، كما يشتهر أيضا بتربيته طير السماني ، ويبدو أن تربيته كانت في كل منزل خاصة الأسر الفقيرة . وكانت هناك طيور أخرى في بلاد الغرب الأوسط مثل الإوز وطيور الكراكي والبزاة والحمام ، الذي استعمل طعاما وكان يدرّب على حمل الرسائل لمسافات بعيدة، ويستعمل روثه سماد³، وكان القاضي النعمان يرى أن "صيد الحمام مكروهة"⁴.

صيد البحر: كان صيد السمك ممتدّاً على طول الساحل، وكان التجار يذهبون للصيادين فيشترون صيدهم ثم يبيعونه في المدن . وبلغ من مهارة الصيادين أنهم يلبون رغبة التجار في النوع الذي يريده .

وكانوا يصطادون المرجان في مرسى الخرز وتنس ، فذكر ابن حوقل "أن مرسى الخرز قرية لكنها نبيلة المرجان وحضور من يحضرها من التجار ولا أعرف في شيء من البحار له نصير في الجودة"⁵.

النشاط الصناعي :

لم تكن الصناعة في بلاد المغرب الأوسط على وتيرة واحدة ومستوى واحد ، نظرا لتعدد مستويات نواحيه ، فهناك نواح يسودها المجتمع البدوي ، وهنا تظهر الصناعات التي

¹ - ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بير فونتانا الشرقية ، الجزائر ، 1903 ، ص12.

² - ابن حوقل ، المصدر السابق، ص ص 77-78.

³ - عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص69.

⁴ - القاضي عياض ، المصدر السابق ، ص380.

⁵ - ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص77.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

تتلاءم وطبيعة المجتمع ، بل إن هؤلاء لا يقومون على تصنيع المواد الخام التي بحوزتهم كلية، فيضطرون إلى تصديرها خاما أو نصف مصنعة إلى أسواق المدن .

وكانت هناك مراكز صناعية في القرى المنتشرة عبر أنحاء المغرب الأوسط ، وهي أكثر تقدما من صناعة المجتمع البدوي ، إلا أن المراكز الصناعية الكبيرة هي في مدنه العديدة مثل : مدينة تيهرت ، تلمسان ومسيلة وجزائر بني مزغنة .

والجدير بالذكر في هذا الميدان أن مجتمع المغرب الأوسط تطور في هذه الفترة، دلّ على ذلك ظهور مدن جديدة وإحياء مدن أخرى ، وانتقلت من صناعة بدوية أو قروية إلى صناعة المدينة.¹

عوامل ازدهار الصناعة :

النظرة الإسلامية : فقد حض الله الناس على ممارسة الصناعة ومختلف المهن من خلال الحض على العمل ، فقال تعالى "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون "² وقال "فاقرأو ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله "³

وكان الرسول محمد (ص) يحث بدوره على العمل في كثير من الأحاديث.

- اتساع العمران : اتسع عمران بلاد المغرب الأوسط وظهرت مدن جديدة، وهذا ما يلغي زيادة الطلب على السلع على اختلافها وهذا ينعكس إيجابيا على ازدهار الصناعة خاصة اذا توفرت القوة الشرائية.⁴

- توفر المواد الخام: اشتهر بلاد المغرب الأوسط بالإنتاج النباتي والحيواني ،فقد قامت صناعة واسعة في هذين المجالين واعتمدت عليها ،كما توفرت فيها بعض المعادن مثل الحديد،الزفت⁵، الفضة، الرصاص ،الإثمد، النحاس، الزئبق،الملح⁶.....الخ.

- نشاط الحركة التجارية :لقد سارت القوافل محملة بالسلع والبضائع في جميع الاتجاهات ،وهذا ينعكس بدوره على الصناعة بالإيجاب ،إذ إن تصريف السلع يعني سلع جديدة في حين أن كسادها يعني توقف الحركة الصناعية وإصابتها بالشلل .

¹ابو الفضل الدمشقي،الإشارة إلى محاسن التجارة ، تح ،البشري الشريجي، الإسكندرية ،1397هـ/ 1799م، ص ص 20-21.

²سورة التوبة ،الاية 105. -

³سورة المزمل ، الاية 20.

⁴ابن خلدون ، العبر ،ص247.

⁵الإدريسي،وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية ،ص 90.

⁶رشيد بوروية ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، دوان المطبوعات الجامعية ،1977، ص136.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

- دور الدولة: لايشير المؤرخون إلى أن الرستميين فرضوا الضرائب فادحة على الصناعة ،كما أنهم نظموا الأسواق، وأفردوا لكل صناعة سوقاً ، وأخرجوا بعض الصنائع ذات الأوساخ والروائح الكريهة من المدن، وهذا التنظيم سهل مهمة المحتسب ومراقبة الصناع ويؤدي بدوره إلى تشجيع الصناعة .

أما الضرائب المتنوعة التي فرضها الفاطميون ثم الزييريون التي تبدوا فادحة، فلم تكن في الحقيقة أكثر من إجراء يراد به تنظيم الحركة الاقتصادية عامة ودفع الناس إلى الجد والاجتهاد في العمل ¹.

الصناعات والمهن الرئيسية:

1- صناعة النسيج : تعتبر صناعة النسيج الصناعة الرئيسية في العصور الوسطى ، بسبب حاجة الناس إليها على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم، وقد أدى الاحتكاك الواسع بين الشعوب في ظل الإسلام الى تمازج بين الأزياء ، وتأثر النسيج المغربي بالفارسي والأندلسي إلى ذلك ، حتى أصبح نسيج مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط متشابهاً²، واشتهرت بلاد المغرب الأوسط في صناعة النسيج، بسبب وفرة المادة الخام خاصة الصوفية منها فتنوعت منتوجاتهم النسيجية.³

الصوف : نجم عن شهرة بلاد المغرب الأوسط بالإنتاج الحيواني شهرة في الصناعة الصوفية، ويشيد عبد الرحمان ابن خلدون بشهرة تلمسان في هذا المجال ، فيذكر بخصوص أهلها "أن غالب تكسبهم بالفلاحة وحول الصوف يتغالون في عمل أثوابه الرقاق"⁴ ويذكر صاحب كتاب الاستبصار أن أهل وجدة "يصنعون من الصوف أكسية ليس لها نضير في الجودة...."⁵

الكتان : كان يستعمل نسيج الكتان في صنع الثياب والأحذية وغيرها كما عرفت بلاد المغرب الأوسط الأقمشة الحريرية، فكان الأثرياء وأصحاب القصور يتباهون باقتنائهم الملابس الحريرية باعتبارها سلعة رفيعة وثمينة .

القطن : قام بعض صناع المغرب الأوسط بصناعة النسيج القطني بعد إنجاز المراحل المختلفة من قطفه وتنقيته من جذوره ثم غزله أخيراً نسجه ،ويبدو أن هناك من تخصص

¹ عبد الكريم يوسف جودة ، المرجع السابق ،ص85.

² -ابن الصغير ،المصدر السابق ،ص136.

³ -عبد لكريم يوسف جودت ،المرجع السابق ،ص90.

⁴ -ابن خلدون ،بغية الرواد ، ص22.

⁵ -السلوي ،المصدر السابق ،ص193.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

في الصناعة القطنية حتى غلبت نسبتهم إلى مهنتهم هذه على انتسابهم إلى قبائلهم أو مدنها فمن المرجح أن المسيلة قد عرفت من حمل لقب "القطن". نظرا لشهرتها بزراعة القطن.¹

2- الصناعة المعدنية :

الصناعة الحديدية : تحتاج الصناعة المعدنية إلى مواد خام ومادة الخشب وقد تسهل على بلاد المغرب الأوسط الحصول على هاتين المادتين ، مما يجعل قيام صناعة معدنية أمرا واقعا ، فقد ذكر ابن حوقل أن مدينة بونة " بها معادن الحديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير"² وهو ما أكده المقدسي حيث أشار إلى إن " بها معدن الحديد .³ والحديد ضروري لكل دار بل لكل شخص وهذا لسعة استعماله خاصة صناعة الأسلحة .

الصناعة الذهبية: كان الحصول على الذهب الخام أمرا متيسرا، فكانت القوافل المتجهة إلى بلاد السودان الغربي كقابلة لتوفره ، وقد كانت استعمالاته متعددة بالإضافة إلى صناعة نقودا ودنانير فقد كانت تصنع منه الحلى للنساء ، وكذا في تحلية بعض المصنوعات الأخرى فحلوا السروج واللجم والذهب .

الصناعة الفضية : لا يشير الرحالة إلى وجود الفضة في بلاد المغرب الأوسط، لكن هذه المادة الخام كانت موجودة في مجانة ويشير ابن الفقيه إلى وجود الفضة في درعة وكانت الفضة تستعمل الذهب في سك النقود وصناعة الحلى .⁴

الصناعة النحاسية : يوجد النحاس في بلاد المغرب الأوسط :فذكر البكري أن علي " هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس " وقد استعملت هذه المادة في صناعة كثير من الأدوات، خاصة منها الأواني المنزلية ،فقد صنعوا المهارس من النحاس ،وقد ذكر الدباغ أن هاشما ابن عمر "كان عنده مهارس من تركة أبيه "⁵ومن الأرجح أن النحاس كان هاما، فقد استعمل في صناعة النقود فلوسا ،كما كان يقدم هدايا فذكر القاضي عياض أن العكي كان يهادي ملك الروم فوجه إليه الطاغية في سلاح وحديد ونحاس .⁶

¹- عبد الكريم يوسف جودت ،المرجع السابق ،ص ص 93-95.

²- ابن حوقل ، المصدر السابق ،ص17.

³-المقدسي ،المصدر السابق ،ص226.

⁴- عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص 101.

⁵-الدباغ ،معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تح ، إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي ،مصر ،1968،ص344.

⁶- القاضي عياض ،المصدر السابق ،ص 38.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

الصناعة الرصاصية: كان من اليسير الحصول على الرصاص من مدينة مجانية، وكان المشتغل بهذه الصناعة يدعى (الرصاص)، وكان يستخرج الرصاص من مادة أكسيد الرصاص الأزرق لصناعة الزجاج، وفي الطب لتحضير مسحوق شعبي يستعمل للعين، كما استخدمه الفاطميون في صناعة العيارات.¹

الصناعة الطبية: كانت بلاد المغرب الأوسط تشتهر ببعض النباتات التي تستعمل في علاج بعض الأمراض في فذكر الإدريسي أنه في أكناف الجبل مسيون بشمال بجاية جملا من النباتات المنتفع به في صناعة الطب مثل: شجرة الحوض والسقول وفندوريون..... وغير ذلك، وكان أهل قلعة بن حماد يتحرزون ويتحصنون من عقارب كثيرة قاتلة بان يشربو "نبات الفوليون الحراني ويزعمون أنه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب" وهناك بعض الأدوية التي تصنع من العقاقير التي يشترونها الناس من العطارين.²

3 - النشاط التجاري:

يرى ابن خلدون إن الإنسان مدني بطبعة، فهو دائما بحاجة إلى الآخرين من أجل اقتناء ضرورياته على الأقل، فإن كان فلاحا، فهو بحاجة إلى النجار والحداد وغيرها، وهكذا فرضت الحاجة في كل فرد إن يقايض الفائض مما يملك سلعة أخرى وهو بحاجة إليها، فكانا البيع والشراء³، لقد استغنت التجارة في المغرب الأوسط في الداخل والخارج، وأصبحت تحتل مكانة هامة من الناحية التجارية وهذا راجع لعدة عوامل أهمها :

1. عامل جغرافي: اختلاف التضاريس الطبيعية والأحوال المناخية في بلاد اقتضى وجود اختلاف في الإنتاج الزراعي والصناعي بين منطقة وأخرى، ويبرز هذا الاختلاف بوضوح بين الشمال والجنوب، إذ اشتهرت كل ناحية بسلعة أكثر من غيرها، فهذه بالتمر وتلك بالفواكه وأخرى بالحبوب، وغيرها با لمرجان والسلك، فكان هذا التباين عاملاً في سيلان البضائع من الأماكن ذات الوفرة والإنتاج إلى التي تعاني نقصا وحاجة إليها.⁴

2 دور السلطة الحاكمة : شجع الحكام على ممارسة التجارة، وكان لهم دور في نموها وازدهارها، كما نجد أن كثيرا من الحكام ما رسو مهنة التجار، فكان الامام عبد الوهاب تاجرا ويبدو أن ابنه أفلح كان قائما له بهذا الأمر⁵، كما مارس بعض الامراء العلويين في

¹ - عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص105.

² - الإدريسي، وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية، ص16.

³ - عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص ص 126-127.

⁴ - نفسه، 127.

⁵ - ابن الصغير، المصدر السابق، 357.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

بلاد المغرب الأوسط التجاري، ويدل على هذا ظهور أسواق خاص بهم تحمل أسمائهم مثل :سوق الحمرة وسوق براهيم.¹

كما أن الفاطميين أنفسهم مارسوا التجارة أمثال المنصور الفاطمي يصرح بممارسة "التجارة في الحلال الطيب وربما واصل بعضهم العمل التجاري بالجوء إلى الوكلاء".²

عوامل اجتماعية : هناك عوامل تتعلق بالمجتمع نفسه كان لها أثر على الحياة التجارية، فكانت هناك تباين اجتماعي يحدده طريقة المعيشة، فهناك سكان المدن وسكان الريف تختلف منتجاتهم وحاجاتهم ، فتختلف حركة سلعتهم هؤلاء إلى أولئك وبناء على هذه العلاقة فقد شكلت المدينة مركزا ، فكانت قطبا يجتمع عليها أهل القبائل المحيطة حاجاتهم وفي مجتمع بالتباين وتزداد التجارة حيوية لا تظهر في مجتمع متجانس الفئات .

4_ تنظيم الأسواق :إن تنظم هذه الأسواق كان جيدا، بحيث اختصت بمكان معين وسلعة معينة يعتبر في ذاته عامل إزهار للتجارة، فهو أمر يسر للمرء عدم الوقوع ضحية التلاعب بالأسعار كما يسهل عمل المحتسب في مراقبة التجارة.³

5_ الخبر التجارية :بالإضافة إلى التجارة التي يمارسها سكان البلاد الأصليين، فإن تجارة المغرب الأوسط إزدادت نشاطا وحيوية بمساهمة جماعات أجنبية عرفت عنها الاشتهار بالعمل التجاري والخبرة فيه .

6_ عنصر الأمن : وهو عنصر هام في فهو التجارة، إذ يضمن للتاجر أمنه على ماله وحرية الحركة، وقد كان القرن الثالث الهجري قرن أمن بفضل سياسة أمراءه من الرستميين والعلويين.

7_ وهناك عوامل مساعدة في نهو التجارة ، كوجود النقود والدنانير وأجزاءها، ومكايل متنوعة ومقاييس مختلف ووحدات وأجزاءها، وهذا تسهل عملية التبادل التجاري فنشأت شبكة من الطريق التجاري بين حواضر المغرب الأوسط كما نشطت التجارة الخارجية مع بلاد المشرق والأندلس وكذا بلاد السودان الغربي.....⁴

¹ - الجوزي، سير الأستاذ جودر، تح، كامل حسن محمد و محمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، مصر، 1954، ص 61.

⁶ - أبو الفضل الدمشقي، المصدر السابق، ص 128.

³ - عبد الكريم جودت يوسف، المرجع السابق، ص 128.

⁴ - نفسه، ص 129.

ثانيا: المؤهلات الاقتصادية لبلاد السودان الغربي:

1 - الخصائص الطبيعية للمنطقة:

أ- المناخ: عرفت منطقة السودان الغربي تنوعا واختلافا وتباين في المناخ السائد بها، وتميز في العموم على أنه مناخ شبه استوائي يتميز بارتفاع الحرارة وزيادة كبيرة في الرطوبة، وهذا ما أثر على التساقط.

يكثر تساقط الأمطار في منطقة السودان الغربي على العموم، غير أنها تقل كما اتجهنا نحو الشمال في الداخل وتبقى المناطق الساحلية غزيرة الأمطار وتصل إلى درجة تصعب معها الرؤية¹، كما تتميز بفروق حرورية²، وقد تميز السودان الغربي بالمناخات التالية:

- المناخ الصحراوي:

يسود هذا المناخ في المناطق الشمالية المتاخمة للصحراء الكبرى ويمتد إلى صحاري النيجرومالي وصحراء فرلو في السنغال، ويتميز هذا الإقليم بشدة الحرارة، وقلة المياه وندرة الأمطار.

- الإقليم الساحلي الشمالي:

يتميز بفصلين، أحدهما جاف وآخر ممطر، وهو قليل الأمطار في منطقة تشاد، غير أنه ماطر في سواحل موريتانيا والسنغال، نظرا لتأثره برياح المحيط.

- المناخ الغيني:

وهو شبه استوائي يرتفع متوسط حرارته إلى 28°، وهو يتميز بفصلين للأمطار، بينهما فصل للجفاف، لذا فهو غزير الأمطار، وهو يمتد من غينيا إلى نيجيريا.

- مناخ المرتفعات:

وهو يسود في المناطق الجبلية يميل إلى البرودة كما أنه غزير الأمطار.³

-محمد فاضل علي باري وسعيد براهيم كردية ، المسلمون في غرب إفريقيا ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2007م ، ص23.

² - نعيم قداح ، إفريقيا الغربية في ضل الإسلام ، مراجعة عمر الحكيم ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ص7 .

³ - نعيم قداح ،المرجع السابق ، ص9.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

ب- التضاريس:

يتشكل السودان الغربي من هضبة قديمة عملت العوامل الطبيعية في تغيير قشرتها الخارجية، ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة والسهول المنبثة¹، وتمتد تضاريسها من تشاد إلى الأطلسي تنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى الأقسام التالية:

-**المنطقة الشمالية:** تقع بين الصحراء الكبرى شمالاً إلى وادي النيجر الأوسط جنوباً، وهذه المنطقة صحراوية في أغلب مساحتها، تتخللها بعض الهضاب والوديان والواحات والعيون.

-**المنطقة الوسطى:** تمتد من بحيرة تشاد شرقاً حتى منطقة (Toro Fouta) فوتا تورو السنغالية غرباً وترتفع في وسطها هضاب النيجر، وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراعي خصبة.

-**المنطقة الجنوبية:** وهي المنطقة المشرفة على خليج غينيا وتضم عدة كتل جبلية أهمها (Djallon Fouta) فوتا دجالون، تغطي هذه المنطقة الغابات الاستوائية الكثيفة وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية.²

وتنحصر الجبال في المنطقة الغربية والشرقية من غرب إفريقيا، ففي الغرب تعتبر فوتا دجالون أهم المناطق الجبلية وتمتد في كل من غينيا (كوناكري) وغرب ليبيريا وشمال سيراليون، ويعتبر جبل نيمبا (Nimba) الذي يقع في جنوب غينيا (كوناكري) قرب الحدود مع ليبيريا وساحل العاج - أعلى قمم جبال فوتادجالون إذ يصل ارتفاعه إلى 1752 م -، بينما يبلغ إرتفاع الوسطى في شمال هذه الجبال قرب حدود السنغال نحو 1500 م.

أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال فإنها تقوم في دولة توغو ومتوسط ارتفاعها هو 900 م، أما في الشرق فتوجد مرتفعات آداماوا (Adamoua) التي تقع في الكامرون ويبلغ معدل ارتفاعها حوالي 1035 م.³

ج- المياه: توفرت منطقة السودان الغربي على أنهار مهمة، حيث تعتبر كتلة فوتا دجالون

¹ - نفسه، ص 2

² - محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كردية: المرجع السابق، ص 21.

³ - محمد فاضل علي باري ومحمد وسعيد ابراهيم كردية، ص 21، 22.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

مصدرا رئيسيا للمياه نظرا لكثرة أمطارها ولطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه، وينبع من هذه الكتلة أكثر انهار المنطقة وأشهرها وهي:

نهر السنغال: يبلغ طولها حوالي 1600 كلم وينبع من وسط غينيا(كوناكري)، ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سان لوي السنغالية، القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة، وهو مصدر خصب للأراضي التي يمر بها.

أ- نهر النيجر: يبلغ طولها حوالي 4200 كلم وينبع من الحدود الغينية(كوناكري) مع سيراليون يرفد هذا النهر كثير من الأنهار ويمر على كل من غينيا(كوناكري) ومالي والنيجر، ويعد النيجر أصلح انهار إفريقيا للملاحة وله أهمية سياسية واقتصادية لاشتغال حوضه على غلات عظيمة القيمة، هذا فضلا على أنه طريق مائي عظيم للمواصلات والتجارة، قامت على ضفافه حضارات كثيرة.¹

2- الأنشطة الاقتصادية بالسودان الغربي:

أ- النشاط الفلاحي بالسودان الغربي:

عرفت منطقت السودان الغربي نشاط زراعي بالمنطقة، فتميزت بتنوع المحاصيل، كما عرفت تنوع الثروة الحيوانية والمواشي، فوجدت عندهم أنواع من الحبوب، فوجدت حبوب الأرز والغوثي وهو دق مز غب، يدرس فيخرج منه حب ابيض شبيه بالخر دل، فيغسل ثم يطحن ويعمل منه الخبز وهذا الحب والأرز هو غالب قوتهم، وعندهم الذرة وهي كثر حبوبهم وعندهم الحنطة والشعير فلا يوجد عندهم²، فوجدت على حواف نهر غانة خاصة القمح وغالب الحبوب والقطن.³

كما اعتمد السكان في غذائهم على دقيق النبق والأرز ودقيق اللوبياء⁴ وتميزت مزروعاتهم بالتنوع شملت أكثر شيء الذرة والأرز والصورغو والقطن⁵، كما اهتموا بزراعة الدخن* .

¹ - نفسه ، ص 22.

² - القلقشندي: المرجع السابق، ج 5، ص 289.

³ - شمس الدين الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية للنشر والتوزيع، 5م، ص 240.

⁴ - ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، تح ، كرم البستاني ، دار الفكر ، ص 680.

⁵ - نيقولا زيادة ، إفريقياات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن، 1991، ص 334.

*- يزرع الدخن من اجل سيقانه وأوراقه التي تستعمل كعلف، ومن اجل حباته التي تحول إلى دقيق ومن أنواعه، زيوان العصافير،

انظر ضياء عزت عبد المحسن محمد: قاموس المصطلحات الجغرافية والطبوغرافية، دار غيداء للنشر، الأردن، 2016، ص 276.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

يعتمد سكان السودان الغربي على الصيد والرعي وزراعة بعض الحبوب، حيث يقوم الفلاح قبل زراعة الأرض إلى حرق البقايا الجافة، ليتحول إلى رماد بعد نزول المطر إلى سماد يكسب وبعد أن ينتهي من جني المحصول يتركها مدة سنة على الأقل لتستعيد قوتها الأرض خصبا قويا كما كانت المرأة تساعد الرجل في الأعمال الزراعية.¹

يتميز فصل الجفاف بزراعة الأرز الذي تكون زراعته في مجاري المياه والوديان في السنغال والنيجر ، إلى جانب زراعة الخضر والتوابل²، فوجد عندهم اللفت والثوم والبصل والبادنجان والكرنب والقرع.³

إلى جانب وجود أنواع الفواكه، يقول ابن بطوطة: «توجد عندهم أشجار تنبت ثمارا شبه ثمرة الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وأشجار تثمر شبه الفقوس، إذا انفلق عن شيء يشبه الدقيق فيطبخونه ويأكلونه»⁴، كما وجدت عندهم حبات كالفول طعمها مثل الحمص يطحنونه ، ويجعلون منه الإسفنج، أو يستخرجون منه الزيت.

بالإضافة إلى وجود الغابات بالمنطقة، فوجدت الأشجار البرية ذوات ثمار مأكولة مستطابة وامتثل: شجر تادموت طعمه لذيق جاف جعلوه على الحناء فيسوده، أيضا يوجد عندهم شجر زبيزور ، أيضا شجر قومي الذي يشبه السفرجل طعمه يشبه طعم الموز.⁵

تكثر أشجارهم بالجبال وهي متشابكة تظل الواحدة منها خمس مائة فارس، يقول ابن بطوطة: «كثيرة الأشجار وأشجارها عالية، ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها»⁶

، كما احتوت بساتينهم على ثروة متعددة من رمان وخوخ وعنب.⁷

اهتم الملوك بالزراعة، فكان الملك يملك ضياعا ومزارع مترامية الأطراف يعمل فيها العبيد والعمال والمأجورون وكان يقدر أن الضيعة التي يعمل فيها مائة عبد ينبغي أن تنتج ألف سوموس (نحو 25 طن).⁸

¹-نعيم قذاح، المرجع السابق ، ص120.

²-المرجع نفسه، ص 1.

³-القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص 2.

⁴-ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 679.

⁵-القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص 288.

⁶-ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 279.

⁷-بن سعيد: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1958م، ص 28.

⁸-إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 334.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

إلى جانب الثروة الزراعية وجدت الثروة الحيوانية فوجدت عندهم البغال والحمير والبقر والغنموكلها صغيرة الجثة، إلى جانب الفيلة والأساد والنمورة، والتماسيح، وبقر الوحش، والغزلان والجواميس المتوحشة، كما وجد بها من الطيور الدواجن، الإوز والدجاج والحمام¹ كما اهتموا بصيد الأسماك.²

ب/النشاط الصناعي بالسودان الغربي:

عرفت منطقة السودان الغربي إلى جانب النشاط الزراعي، وجود بعض المعادن التي ساهمت في تنشيط الحركة الصناعية، حتى ان كانت بسيطة إلا أنها ساهمت في تلبية الحاجات والضرورية للسكان بالمنطقة.

ومن بين المعادن التي وجدت بالمنطقة أهم معدن وهو معدن الذهب الذي وجد في مناطق عديدة خاصة أعالي السنغال، التي كانت تشكل مجاريها المائية في العصور الوسطى، ما كان يسمى بجزيرة الذهب ومنها منطقة الونقارة ومنطقة بوري في أعالي نهر النيجر³ كما اشتهرت مدينة غانة بأنها مملكة الذهب وقد قيل عن ملك تنبكتو أن له خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية تزن الواحدة منها ألف وثلاثمائة رطل، وكان ملك غانة يملك من الأموال المدخرة من التبر الكثير وكان يبادل بها ملوك او دغشت بالملح لحاجتهم به⁴ إلى جانب معدن الذهب وجد معدن النحاس، الذي وجد بالمنطقة، يقول ابن بطوطة أنهم يحفرون عليه في الأرض، وإذا سبكوه نحاساً أحمر، صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمئة قضيب بمئقال ذهب، وتباع الرقاق بحساب ستمئة وسبعمئة بمئقال، بالإضافة إلى وجود معادن أخرى مثل: الملح لكن بكميات قليلة والماس والحديد.⁵

هذه المعادن والثروات الزراعية والحيوانية ساهمت في ظهور بعض الصناعات، فكان هناك الحدادون وصانعو الأباريق الفخارية والنجارون والحائكون والصائغون، كما استعمل القطن والصوف في الحياكة اليدوية إلى جانب صناعة الأسلحة.⁶

¹ - الفلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص288.

² - نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص318.

³ - جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص114.

⁴ - حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص166.

⁵ - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص697.

⁶ - نعيم قدام، المرجع السابق، ص123.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

كان لوجود الأنهار بالمنطقة دور في صناعة القوارب والعوامات في النيجر والسنغال، بالإضافة إلى وجود صناعة استخراج الزيت من النخيل والفسق.¹

ج/ التجارة بالسودان الغربي:

إلى جانب النشاط الفلاحي والصناعي لمنطقة السودان الغربي، عرفت المنطقة نشاط تجاري منتظم، ساهم في ظهور ونشوء المدن التجارية الدولية مثل كومبي و تنبكتو ونياني وجنى و غاو، التي أصبحت ملتقى للبضائع القادمة والصادرة من المنطقة.²

كما ازدهرت مناطق أخرى فوجدت مدينة اودغشت³ التي كانت موردا لبلاد المغرب، نشطت بها حركة التجارة وكثر بها التجار.

كما عرفت مدينة غانة نشاط تجاري هام، يقول عنها الإدريسي: «يأتي إليها التجار ومنها يرجعون إلى سائل الأقطار»⁴

كما وجدت علاقات تجارية بين غانة وكوكو وبين سجلماسة وتافيلالت ووصلت العلاقات حتا إفريقيا والأندلس وبلاد الروم، وكانت المنتجات متنوعة خاصة منها الخدم والعبيد والتبر وأنياب الفيلة ودرق اللط* .

كما تحدث البكري وذكر في مواضيع كثيرة المبادلات والنشاط التجاري الذي عرفته المنطقة فتحدث عن مدينة كوغة** و أنها مصدر للملح والودع والنحاس الذي يذهب إلى غانة في إطار التجارة الداخلية.⁵

إلى جانب تصدير منطقة السودان الغربي إلى منتجاتها المحلية، فقد كانت في نفس الوقت

، تستورد بعض المنتجات منها الزيت والجلود والأغطية من بلاد المغرب⁶ كما نجد منطقة ولاته على بعد بضع مئات من الكيلو مترات إلى الشمال من مدينة كومبي صالح التي أصبحت مركز تجاري من أهم الأسواق في الصحراء الكبرى.⁷

¹ - نفسه، ص125.

² - نفسه، ص126.

³ بينها وبين سجلماسة 5 مراحل ومنها إلى غانة 20، أنظر الاستبصار، ص216.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ص19.

* اللط هو حيوان على قدر العجل، طويل العنق، له اذنان كأذني المعز، في رأسه قرون طوال، سود أو مزوقة، تميز جلده (7) بالغلظة إذا ضرب برمح أو سيف لا تجد لها أثر وهذه الدرق كانت تهدى الملوك المغرب والأندلس، انظر الزهري: المرجع السابق، ص118.

** مدينة بينها وبين غانة مسيرة خمسة عشر مرحلة أهلها مسلمون، أنظر البكري، المصدر السابق، ص179.

⁵ نفسه، ص179.

⁶ حسن الوزان، المصدر السابق، ص169.

⁷ نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر، مالي، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1977، ص35.

الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي

شكل التجار في كل هذه العمليات همزة وصل بين منطقة السودان الغربي والمناطق الأخرى، كما كان لهم الدور في ازدهار المنطقة وانفتاحها على الخارج، حيث شكلوا طبقة كبيرة بالمنطقة، فأطلق عليهم الوانكارا أو الديولا في بعض المناطق، وقد عرفت قبائل معينة نشطت في هذا المجال مثل قبائل الساراكوله والمالانكة وهؤلاء عملوا في تجارة الذهب¹ وقد وجدت في المدن التجارية أحياء خاصة للتجار العرب الذين يقيمون في دور بنوها فوق مستودعات البضائع² كان أغلبهم من الجزيرة واليمن ومصر وشمال إفريقيا³.

¹نعيم قداح، المرجع السابق، ص126.

²وقد تحدث ابن بطوطة أن التجار يكترون رجل يسمونه التكشيف، يأخذ مكاتيب التجار إلى أصحابهم ليكترو لهم الدور، كما كانت لهم مهام أخرى، أنظر ابن بطوطة، المصدر السابق، ص675.

³نعيم قداح، المرجع السابق، ص126.

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي

أولا : أهم الطرق التجارية

ثانيا : المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات

أ- أهم المراكز التجارية في المغرب الأوسط

تيهـرت -

تلمسان -

بجاية -

ب - أهم المراكز التجارية في السودان الغربي

غانة -

كوكو -

مالي -

- سنغاي

أولا : أهم الطرق التجارية

تعد الطرق التجارية شريان اقتصاد أي دولة فهي التي توردها بالمستلزمات و الحاجيات سواء منها المجتمعية ، أو السيادية من مختلف المواد ، و البضائع مهما كانت طبيعتها ، ولمختلف استعمالاتها زيادة على عائدات هذه الطرق الحماية و الإدلاء أو توفير الأسواق وتنظيمها وبهذه الطرق التجارية تستطيع الدولة تصدير منتجاتها إلى باقي الدول المجاورة لها أو البعيدة عنها عن طريق وكلائها محليين أو أجانب ، ولهذا فالطرق التجارية هي عصب اقتصاد الدولة في فترة العصور الوسطى و غيرها .

ومن هذا المنطلق فإن الاستقرار السياسي ، وتوفير الأمن عبر هذه الطرق كان لهما الدور البارز في حيويتها ونشاطها أو العكس فقد كانت للصراعات السياسية تغيير بعض المسالك التجارية ابتعادا عن الأماكن الخطيرة¹

وبما أن الطرق التجارية هي المحرك الرئيسي للتجارة فقد اهتم بها الجغرافيون من حيث إبراز مراحلها ، ومسافاتها وما تميز به من مخاطر وتسهيلات²

وفيما يلي عرض لأهم الطرق التجارية التي اشتهرت بين حواضر المغرب الأوسط الشمالية و السهبية مع بعض حواضر الصحراوية منها التي كانت تابعة لهذه الدول أو دول المغرب الأقصى أو تابعة لممالك السودان الغربي و الأوسط .

فأما الدولة الرستمية فقد ازدهرت التجارة فيها في عهد عبد الرحمان بن رستم فكثرت الطرق الصادرة منها و الواردة إليها خاصة مع ممالك السوداني³

ومن أشهر الحواضر الرستمية التي عرفت مرور الطرق التجارية بها المؤدية إلى حواضر السودان الغربي : تاهرت ، غدامس ، ورجلان ... الخ .

¹ مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، منشورات الحضارة ، ج 2 ، الجزائر ، 2009 ، ص 152 .

² الحبيب الجناحي ، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في سجماسة عاصمة بني مدرار ، مقال منشور في كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية منشورات شباب الجامعة ، الإسكندرية 1998 ، ص 152

³ ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 32 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

ومن أهم الطرق التجارية في الدولة الرستمية ما يلي :

- من غدامس إلى تادمك بلاد الكانم من أرض السودان : بين غدامس وتادمكة أربعون مرحلة في الصحراء¹
- ومن رجلان إلى تادمك إلى غانة : وبين وارجلان وتادمكة مسيرة خمسين يوما ، وأما من تادمكة إلى غانة مسيرة خمسين يوما أخرى² .

ويلحظ أن أهل ورجلان اشتهروا كإدلاء للقوافل التجارية لخبرتهم ومعرفتهم لاتجاهات الطرق الصحراوية المؤدية على بلاد السودان³

وأما في أيام الدولة الحمادية فقد حافظت ورجلان على دورها ومكانتها الاقتصادية فقد كانت حلقة وصل في التجارة ما بين الحماديين وأهل السودان .

كما اشتهر الطريق الذي يربط المسيلة ببلاد السودان عن طريق ورجلان⁴

* غدامس إحدى مدن الدولة الرستمية ، وهي مدينة كثيرة النخل و المياه أهلها بربر مسلمون أكثر طعامهم التمر ، أبو عبيد الكبري ، المسالك و الممالك ، تحقيق وتقديم ادريات فان ليوفت ، واندري فيري ، بيت الحكمة و الدار العربية للكتاب ، ج2 ، قرطاج ، 1992 ، ص881 .

**المرحلة وحدة لقياس المسافة عند الرحالة و الجغرافيين المسلمين ، وتساوي اليوم وتساوي كذلك بالتقريب 25 ميلا ، و الميل الواحد يساوي 1340 أو 1453 متر ، الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، ج1 ، 1983 ، ص24 .

¹ نفسه ، ج2 ، ص882 .

***أوارقلان ، وهي مدينة فيها قبائل مياسير ، وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد نقارة ، فيخرجون منها التبر ، ويضربونه في بلادهم باسم بلادهم وهم إباضية ، الشريف الإدريسي (محمد بن محمد) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب ، ط1 ، بيروت ، ج1 ، 1409 ، ص296 .

² البكري ، المصدر السابق ، ص . ص 880 - 881 .

³ محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160 - 296 هـ) ، دار القلم ، ط3 ، الكويت ، 1987 ، ص 211 .

**** مدينة في بلاد الزاب بالمغرب الأوسط إحدى حواضر الدولة الحمادية ، تقع بالقرب من قلعة أبي طويل (قلعة بني حماد) . بينهما اثني عشر ميلا ، وهي مدينة جبلية على نهر يسمى نهر سهر ، أسس مدينة المسيلة أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله الشيعي (313 هـ / 925م) بها أسواق وحمامات ، اشتهرت بالقطن ووفرة اللحم ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 254 .

⁴ نفسه ، ص 296 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

وأما الدولة الزيانية فقد تحكمت بأهم الطرق التجارية فكانت الحاضرة تلمسان محطة هامة في طريق القوافل التجارية ما بين المشرق و المغرب واشتهرت بمينائي أرشقول* وهنين**.

كما اشتهرت تلمسان كمحطة انطلاق للقوافل التجارية التي كانت تقصد سجلماسة وورجلان ومنها إلى حواضر بلاد السودان ، وكذلك الطرق الرابطة من تلمسان إلى قلعة ابن الجاهل*** إلى تيزيل*** ، ومن تيزيل يوجد مفترق الطرق إلى سجلماسة أو إلى ورجلان ، أو إلى القلعة¹.

وأما جزائريين مزغنة**** فقد كانت تشبه المستودع الذي يتم فيه تجميع البضائع السودانية التي تسوق إلى أوروبا ، وكان تجار الجزائر في مزغنة ويلتقون بنظرائهم من السودان الغربي بالحواضر الداخلية لتتم عملية التبادل و البيع و الشراء².

ومرسى الدجاج مدينة كبيرة القطر لها حقن دائر بها وبشرها قليل ... ولها مرسى مأمون ولها أرض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زروعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه و اللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير و المدائن و الأمصار وهي بذلك مشهورة³

*أرشقول اسم لمدينة وجزيرة ومرسى وكلهم نسبة لموضع واحد فأما الدينة فهي تقع في ساحل تلمسان على نهر تافنا يأتي من قبليها ، ويتدير بشرقيها ، ويدخل فيه السفن اللطاق ، ومن البحر إلى المدينة ميلان ، وهي مسورة وبمدينة أرشقول مسجد جامع ، وآبار عذبة ، الكبرى ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص.ص 747 - 748 .

**مدينة حسنة صغيرة تطل على البحر من سواحل تلمسان ، لها سور وأسواق بيع وشراء وعمارات وبين هنين و تلمسان في البر أربعون ميلا ، الغديسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 534 .

***تقع في جنوب تلمسان ، قلعة منيعة كثيرة الثمار و الأنهار ، البكري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 746 .

****هي أول الصحراء مدينة معمورة فيها آثار مسجد ، نفسه ، ص 746 .

¹نفسه ، ص 296 .

*****مدينة على ضفة البحر ، قديمة البناء ، فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم ، ولها أسواق ومسجد و جامع ومرساها مأمون ، فيه عين عذبة يقصدها أصحاب السفن ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان دار صادر ، ج 1 ، بيروت 1977 ، ص 132 .

² عبد الباسط ، التلاقح الحضاري بين حواضر المغرب الأوسط و السودان الغربي ، موقع قراءات إفريقية الإلكترونية ، التاريخ 24 / 11 / 2018 ، التوقيت 00 : 9 .

³ الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 259 .

ثانيا : المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات بين الإقليمين

- قامت في المغرب الأوسط بعض الدول كان من أشهرها : الدولة الرستمية (160-296 هـ / 776 - 909 م) و الدولة الحمادية (395 - 547 هـ / 1004 - 1152 م) ... وكانت لتلك الدول علاقات مع جيرانها من الممالك السودانية الغربية وهو ما أنكس إيجابا على العلاقات التجارية ما بين الضفتين :
 - فأما الدولة الرستمية الإباضية فقد ربطت بعلاقات جد متينة مع الدول بين مدرار الصفرية على أساس تشاركهما في بين المذهب الخارجي ، زيادة على تحالفهما ضد القوى السنية القائمة على حدودهما¹ ، وتوثقت هذه العلاقات أكثر بعد زواج مدرار المنتصر بن اليسع حاكم دولة مدرار بين سنتي (208 - 253 هـ / 823 - 867 م) بأروى بنت عبد الرحمان بن رستم (161 - 171 هـ / 777 - 787 م) . أول حكام بني رستم ببيتهم² وتجلت الأهمية الاقتصادية في آن واحد الحاضرة سجماسة^{*} التي تعتبر بوابة الصحراء خاصة نحو حواضر و ممالك السودان الغربي^{**}
 - فمنها تخرج القوافل عبر العراق و المراكز التجارية الرئيسية في شمال إفريقيا .
- لقد نشطت العلاقات التجارية ما بين الدولتين بفضل حيوية نشاط بعض الطرق التجارية ، ومنها إلى بلاد غانة³ التي تمر على سجماسة التي تقع على مسيرة شهرين

¹ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون "العبر، المصدر السابق، ص، ص 16. 17 .

^{*} ولى بعد وفاة أبيه ، وإليه ينسب بني مدرار ، ويقال بأنه هو الملقب بالمنتصر ، وكان له ولدان ، ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ومراجعة : ج س : كولان وليفي بروفيسال : دار الثقافة ، ط3 ، ج1 ، 1983 ، ص 157

² ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 157 .

^{**} هي مدينة سهلية أرضها سبخة في واحة تافيلت إلى جنوب من جبال الأطلسي تشتهر بكثرة البساتين ، سنة 140 هـ / 757 م ، تقع على نهري بين شرقيها و غربيها ، البكري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ، ص 835 . 836 .
^{***} أول من أطلق كلمة السودان هم الجغرافيون العرب المسلمون وكانوا يقصدون بها الشعوب السوداء التي تسكن إفريقيا جنوب الصحراء ، ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 232 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

منها¹ ولقد كانت القوافل التجارية الرستمية تعتبر سجل ماسة أو تستقر حاملة لبعض المنتجات ومنها على سبيل المثال الخضر : الكمون ، الكروياء ، الحناء ، زيادة على الأرز وشجرة التالوت الذي يستخدم في دبغ الجلد ، و الذهب التي كانت تحمله من غانة² كما قامت علاقات سياسية متميزة بين الدولة الرستمية وبعض ممالك السودان منها كوكو*

فقد أرسل الإمام أفلح عبد الوهاب** سفير محمد بن عرفة إلى مملكة كوكو على رأس بعثة دبلوماسية محملة بالهدايا أعجب بها ملك كوكو ليس فقط بما حملته هذه السفارة من الهدايا فقط وإنما بشخصية السفير في حدي ذاته وهيبته وفروسيته وجماله³

وأما الدولة الحمادية فلم تنشر المصادر أو الدراسات ، في حدود عملنا ، إلى قيام علاقات سياسية مع ممالك السودان الغلابي أو دول المغرب التي شملت داخل حدودها بعض الحواضر الصحراوية كالدولة المرابطية التي قامت في صحراء اغمات ثم توسعت شمالا إلى مراكش وحواضر المغرب الأقصى ، وبعض حواضر المغرب الأوسط ثم الأندلس إلا بعض الإشارات القليلة التي تحدثت على علاقات الحماديين مع المرابطين التي تراوحت بين السلم و الحرب نتيجة طموح الدولتين في التوسع على حساب الأخرى لتستقر العلاقات في الأخير إلى حالة السلم بعد أن سيطر الأمير الصنهاجي المنصور (

¹ البكري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 837

² نفسه ، ج 2 ، ص 877 .

* مدينة كبيرة في السودان على ضفت نهر يخرج من ناحية الشمال ، فيمر بها و يقسمها إلى قسمين : فأما الجزء الشرقي مدينة تعرف سرناتة بها أسواق ومتاجر وهي قبلة المسافرين و التجار من كل بلد ، وأما الجزء الغربي فهو مقر وقاعدة الملك فيه قصره وخدامه فقط وأكثر المواد المعروفة عندهم الملح ، محمد عبد المنعم المهيري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط 2 ، بيروت ، 1984 ، ص . ص 502 . 503 .

** أفلح عبد الوهاب عبد الرحمان بن رستم حكم بين (190 240 هـ / 805 - 854 م) ثالث الأئمة الرستميين من الاباضية بتيهرت ، حليما ، شجاع ، فقيها ، له عدة مؤلفات الشمافي : (أحمد بن ... كتاب السير ، تحقيق أحمد بن مسعود البياني وزارة التراث القومي و الثقافة العمانية ط 2 ، ج 1 ، 1992 ن ص 166 . الباروني (سليمان بن عبد الله) : الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الاباضية ق 2 ، ص 166 .

³ محمد عيسى الحبري ، المرجع السابق ، ص 212 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

484-498 هـ / 1091 - 1104 م) * على تلمسان إلى غاية دخول النوحدين¹ ولهذا من الصعب بما كان في ظل هذه الظروف أن نجد إشارات تاريخية تتحدث تتحدث دور للسلطة المالكة سواء في الدولة الحمادية أو ممالك السودان لتشجيع الحركة التجارية وتأمين القوافل .

وازدهرت التجارة عبر الصحراء الكبرى منذ الفتح الإسلامي وكان الفضل في ذلك للتجارة ودعاة العرب و المسلمين من القرن الثاني للهجرة وراحت أكثر بعد فتح المرابطين لفان (470 هـ / 1077م) ، ودامت هذه النهضة الاقتصادية إن صح التعبير إلى غاية القرن العاشر للهجري أي شملت معظم مرحلة العصور الوسطى وتكفلت حواضر المغرب الإسلامي وخصوصا المغرب الأوسط لدول الوسيط أو حلقة وصل لهذه التجارة².

ويرى بعض الباحثين أن المثال المستشرقين هو كنز بأن العصر الذهبي للتجارة عبر الصحراء كان قد انتهى في القرن السادس عشر للميلاد لعدة أسباب أهمها³ :

تحويل الطرق التجارية نحو الساحل فازدهرت التجارة كنتيجة طبيعية نظرا لما شهده العالم في هذه الفترة من كشوفات جغرافية ورحلات المغامرين الأوروبيين .

دخول السودان الغربي في مرحلة من الاضطرابات السياسي بسبب سقوط مملكة سنغاي 1591 ، وفيما يلي عرض لمظاهر التبادل التجاري ما بين حواضر المغرب الأوسط مع حواضر ممالك السودان الغربي أهم المسالك التجارية التي اشتهرت في فترة العصور الوسطى ما بين هذه الحواضر ، زيادة على ذلك ذكر أهم المواد التي كانت محل تبادل

* المنصور بن الناصر علناس بن حماد بن بلكين الصنهاجي ، سادس ملوك الدولة الحمادية بالقلعة وبجاية ، بوع بعد وفاة أبيه ، كان مقر ملكه قلعة بني حماد ، ثم انتقل إلى بجاية (483 هـ / 1090 م) وأخذها عاصمة لدولته يلقب بمؤسس العمران . أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي) ، المختصر في أخبار البشر المطبعة ، الحسنية المصرية ، ط1 ، ج2 ، ص 132 .

¹ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص323 .

² هوبكنز ، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، تقديم محمد عبد الغني سعودي ، ترجمة أحمد فؤاد بليغ المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 ، ص 158 .

³ نفسه ، ص 159 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

بين السواق الضفتين وما تتميز به كل حاضرة عن نظيرتها سواء في المغرب الأوسط أو السودان الغربي

أهم المراكز التجارية :

أ / في المغرب الأوسط :

1- **تيهـرت*** : تتميز بموقع جغرافي متميز يتوسط المغرب الأوسط الأمر الذي جعلها بأن تكون حلقة وصل للطرق التجارية المارة إلى الشرق و الغرب مما شجع نشاط الأسواق في هذه المناطق وربط علاقات تجارية مع الحواضر الصحراوية في السودان الغربي

ولقد لعبت تيهـرت الإباضة دورا كبيرا في إنعاش التجارة في المغرب الأوسط و بلاد الصحراء فضمنت جماعات كبيرة من التجارة الذين وجدوا الأمن في ظل الأئمة¹ ولهذا تحولت تيهـرت إلى مركز تجاري نشيط خلال القرنين الثالث الهجري و التاسع الميلادي ، بحيث كانت قوافل التجارة تدخل من تيهـرت وتخرج جنوبا حتى واحة الأغواط في جنوب الجزائرأ لحالية ومن ثم يتجه بعضها شرقا إلى قران².

* أوتاهـرت : إسم مدينتين متقابلتين في المغرب الأوسط يقال لإحدهما تاهـرت القديمة وقد اندثرت وعلى خمسة أميال منها تقع المحدثـة أوتاهـرت السفلى ، وهي مدينة مسورة لها أربعة أبواب باب الصفاء أو الغزا ، باب المنزل ، باب الأندلس ، باب المطاحن تقع على سفح جبل يقال له جزول ولها قصبة مشرفة على السوق شمس المعصومة اشتهر موقعها بشدة البرد وكثرة الغيوم و الأمطار و الثلوج كما اشتهرت بإنتاج مختلف أنواع الثمار ، البكري أبو عبيد ن المصدر السابق ، ج2 ن ص 733 - 734 .

¹ حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ج1 ، ط1، دار الحديث و النشر و التوزيع بيروت 1996 ، ص 120.

² اليعقوبي ، البلدان ، طبع بمطبعة بيريل ، لندن ، 1891 ، ص 184 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

ومن ثم إلى جبل نفوسة وطرابلس ويتجه بعضها إلى وارجلان التي تعد مركزا تجاريا على أبواب الصحراء الكبرى¹ كما كانت القوافل التجارية تصل إليها من فاس و القيروان وسيجلماسة وبلاد كوكو في شمال في شمال السودان الغربي .

ومن العوامل التي ساعدت على تنشيط العلاقات بين تيهرت و السودان الغربي وقوع تيهرت على طريق القوافل التجارية المارة من والي المشرق و السودان الغربي فهي تتوسط قبائل الناحية مما جعل منها سوقا تقصدها القبائل وتصلها القوافل التجارية التي تربط الواحات الصحراوية بموانئ الساحل .

ويصف البكري أسواق تيهرت بأنها كانت عامرة ، ولقد حافظت على مكانتها الاقتصادية و التجارية حتى إلى فترة الدولة الحمادية فقد كانت من ضمن أشهر المراكز التجارية².

2- تلمسان* : تعد تلمسان من عواصم المغرب الأوسط بعد تيهرت وأثناء بيعتها

لدول الدراسة كانت على حدودها الجنوبية ارض السودان ، وهذا ما صرح به البكري في قوله : " وأرض السودان من أرض الحبشة إلى بلاد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن علي من أرض المقرب ، وهي بلاد تلمسان وتيهرت³ ، لهذا فقد قامت علاقات تجارية قوية مابين تلمسان وبعض حواضر ممالك السودان الغربي تجلى ذلك واضحا في حيوية ونشاط الطرق التجارية⁴.

¹ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ، العصر الإسلامي ، دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية ، دار النهضة ، ص 577 .

² أبو عبيد البكري ، المصدر السابق ، ج2 ن ص736 .

* هي مدينة مسورة على سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب ، تعد تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ، ومسجد وجامع ، وأشجار وأنهار كنهر سطيفسيف وهي قبلة العلماء والمحدثين ومن تلمسان إلى فاس تسع مراحل ، البكري المصدر السابق ، ج2 ن ص . ص 745 ، 746 الشريف الغديسي المصدر السابق ، ج1 ، ص 246 .

³ البكري المصدر السابق ، ج1 ، ص 319 .

⁴ مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، ج2 ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2009 ، ص 42

3- **بجاية*** : وتجلت أهميتها التجارية بالنسبة لممالك السودان في مينائها الذي ترسوا فيه سفن الروم وسفن المسلمين ، زيادة على سفن الصين و الهند وغيرهم ومن بجاية تحمل البضائع القادمة من داخل المغرب الأوسط و الصحراء وهي التجارة في هذه الأقطار وغيرها من المغرب الأقصى و المشرق وهو ما ورده الإدريسي في قوله : " بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد و السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحنة الأمتعة إليها برا و بحرا مجلوبة و البضائع بها نافقة ، وأهلها مياسرة تجار وبها الصناعات و الصناعات ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار المشرق وبها تحل الشدود ، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة¹

ب / أهم المراكز التجارية في السودان الغربي :

1- **غانة** : تعد مملكة غانة من أبرز ممالك السودان الغربي ومن أشهر هذه المملكة مدينة غانة و أوغشت ، فأما مدينة غانة فهي من كبريات حواضر الصحراء نظرا لغناها ببعض المواد النفيسة كالذهب و الفضة زيادة على رواجها كأهم سوق في ممالك السودان يقصدها التجار من كل الأقطار من المشرق و المغرب ومن الشمال و الجنوب ، ويصف ابن حوقل مدى ثراء هذه البلاد فيقول : " وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال و المدخرة² .

وأما المدينة الثانية من ممالك غانة فهي مدينة أوغست التي تعد قاعدة ملك السودان بغانة قبل فتح العرب لغانة ، وهي مدينة كبيرة ، كثيرة الأسواق ويصفها البكري بما يلي " وهو بلد قائم العمارة مدينة كبيرة فيها أسواق ، وفيها نخل كثيرة ، وأشجار الحناء لقد

* وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر ، محدثة في بناء ملوك صنهاجة الحماديين أصحاب قلعة أبي طويل وهي كثيرة الفواكه و الأثمار و جميع الخيرات كانت شمس المنصورية نسبة إلى الأمير الحمادي المنصور بن الناصر الذي اتخذها عاصمة لدولة الحماديين بعد القلعة بينها وبين القلعة مسيرة أربع أيام ، مؤلف مجهول مراکش (ت ، ق ، 6 هـ) ، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية بغداد 1986 ، ص ، ص 128 ، 129 .

¹ الشريف الغريسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 260.

² ابن حوقل النصيبي ، المصدر السابق ، ص 101 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

أودغشت قاعدة ملك السودان بغانة قبل دخول العرب غانة بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين ، وبينها و بين مدينة غانة خمسة عشر يوما وكان يسكن هذه المدينة قبائل زناتة مع العرب¹.

2- **كوكو** : وهو اسم لمدينة ومملكة وتعد من أشهر بلدان السودان أما المدينة فقد اشتهر أهلها بكثرة استعمالهم الخيل و الجمال إما للتجارة أو غيرهما ، وحول علاقاتهم بجيرانهم يصفهم الإدريسي بما يلي : " ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الأمم المحيطة بأرضهم ولباس عامة أهل كوكو الجلود يسترون بها عوراتهم ، وتجارهم يلبسون القوارير والأكيسة وعلى رؤوسهم الكرازي ، وجليهم الذهب ، وخواصهم وجلتهم يلبسون الأرز وهم يداخلون التجارة ويجالسونهم ، ويبضعونهم البضائع على جهة المقارضة² ومن خلال ما أورده الإدريسي في الوصف السابق ، فيلاحظ أن أهل كوكو تأثر و بما يلبسه أهل المغرب الأوسط كالفداوير و الجبيب ، فهل كان للتجار دور في هذا التأثير في نمط عيش أهلها ؟ وهذا وارد ، وربما كان ذلك بفضل الدعاة ، وطلبة العلم الذين ارتحلوا إلى حواضر المغرب و المشرق وعادوا بهذه التأثيرات وتضم مملكة كوكو أشهر المدن و المراكز التجارية في السودان عامة ومنها على سبيل المثال : تادمكة* ، شابة** ، لونيا*** ... الخ .

¹ البكري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 862 .

² الإدريسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 28 .

* مدينة من بلاد السودان واسمها يعني شبيهة مكة ، لفظ تاد بمعنى شبيهة وهي مدينة محصنة منيعة تقع بين جبال وشيعاب ، سكانها بربر مسلمون ، نفسه ، ص ، ص 128 - 129 .

** قرية صغيرة وأهلها قليلون بينها و بين مدينة كوكو نحو ست عشر مرحلة يشتهر أهلها يأكل الحيات بعد قطع رؤوسها وإذئابها ، والجرب لا يفارقهم حتى أصبحوا يعرفون به ، نفسه ص 337

*** جبل في أرض زغاوة من أرض السودان وفي هذا الجبل يسكن أقوام من زغاوة وظوعن السودانيين وهم في الأصل رحالة وتقل البقول عندهم وأكثر غذائهم من الذرة . نفسه ، ص ، ص 513 - 514 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

3-مالي : تتكون مملكة مالي من عدة مدن منها على سبيل المثال : بيتي ، زافون ، ترنكا ، تكرور... الخ¹

وتشتهر هذه المملكة بكثرة الصناعات والتجار المقيمين و الفارين الذين يخصصهم ملك مالي بالعناية أكثر من غيرهم وسكان هذه المملكة أغنياء بفضل تجارتهم².

لقد تحكمت مالي في طرق القوافل التجارية الرئيسية نتيجة ترامي أطرافها وإنشائها فضلا عن وجود معادن الذهب و النحاس و الملح داخل حدودها ثم أن أراضي مالي خصبة زراعية حيث كانت تنتج القطن و الأرز و الذرة و القمح التي كانت تسد حاجات الشعب ، أما الشعير فلا وجود له كما أنتجت الفواكه و الخضار مثل : اللوبيا - القرع³ - اللفت . أما الحيوانات فكانت أشهرها الخيول تأتي بعدها البغال و الحمير و البقر و الماعز و العجال وهناك حيوانات أخرى .

4-سنغاي : تعد من أهم المدن في السودان الغربي ، وتتميز بفترتين تاريخيتين واحدة قبل الأسقيين و الأخرى بعدها ، إذ يمثل هذا الأخير أهم الفترات الزمنية في بلاد سنغاي من حيث الحكم السياسي أو التطور الاقتصادي و الثقافي وحكم المملكة أسرة تسمى عائلة ضياء يقال أنها قدمت من طرابلس حاليا تحت زعامة قبائل لمثة وهوارة ثم مع مرور الزمن وصلت هذه القبائل إلى صحراء النيجر واستقرت هناك وقد حكمت هذه الأسرة سنغاي إلى غاية 1335 هـ . ثم انتقل الحكم إلى

*وهي مملكة في أقصى غرب الصحراء على البحر المحيط ، عاصمتها مدينة بيتي ، وهذه المملكة شديدة الحر ، تقل فيها أنواع الأقوات ، ويتميز أهلها بطول أجسامهم خاصة في سيقانهم ، و تشتهر عند المصريين باسم التكرور . مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 107.

**وهي قاعدة هذه المملكة فهي مربعة الشكل تقع جنوب مراكش تطل على بحر المحيط ، نفسه ، ص109 .

***وهي ولاية واسعة في بلاد السودان المجاورة للمغرب متصلة ببلاد المرابطين ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، م3 ، ص 127.

¹ مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 108 ، وعند البكري نزقة ، وهي بلد كبير يشتهر بصناعة الأرز السمات بالشكليات ، البكري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 869 .

² الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، ج1 ، بيروت 1983 ، ص ، ص 164 - 165 .

³ محمد فاضل علي داري وسعيد ابراهيم كردية ، المرجع السابق ، ص 94 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

عائلة "سني" وهي عائلة تتحدر من ضياء البربرية الأصل ، حيث انتقل أول سلطان بها سمي علي ليفصلها على "مالي" بعد ضعفها وانحلالها و اتخذ اسم "سني" بمعنى "السلطان علي" لينحدر من هذه الأسرة ثماني عشر أمير يعتبر أهل "علي" الكبير قبل الأسقين ، لأنه في عهده توسعت المملكة ودخلت طور الإمبراطورية لتضعف الإمبراطورية بعد الإطاحة بها من طرف الأسقيا الحجاج محمد الكبير بثورة قام بها ضد عائلة "سني" بعد وفاة "سني علي" مباشرة . يعتبر "الأسقيا محمد" المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي الذي سيدوم حكمها أكثر من قرن من الزمن¹ وستبلغ دولة سنغاي في عهده أوج غزدهارها حيث نظمت الإدارة وجهاز الجيش وضم إلى سلطة البلاد أراضي جديدة في الشمال و على سواحل المحيط الأطلسي² فاتسعت المملكة في عهده لتمتد من مناطق الفولاني وحوض السنغال في الغرب إلى منطقتين أغادس ونددي وحدود إمارة الهوس في الشرق .

و يعتبر عهد الأقسين هو العهد الذي انتقل و ترسخ فيه الإسلام في السودان الغربي بحيث وصف هذا العهد بالعهد الذهبي من طرف المؤرخين حيث يلفت المملكة ازدهارها ثقافيا و علميا و تجاريا³ ، خاصة بعد تنفيذ الاسقيا محمد عدة مشاريع تعود بالثروة و الازدهار على البلاد فقد عمل على صرف القنوات على ضفاف نهر النيجر لزيادة مساحة الأراضي المزروعة وأوجد الأوزان و المكايل الموحدة⁴، وانشأ أسطولا صغيرا من سفن التموين وأقام نظام الضرائب يكون الدفع بمقتضاه عينا ، وذلك ليملا الخزانة العامة وسيطر على تغايز الغنية بالملح مما ساعده على خلق نشاط تجاري واسع تمتعت البلاد بفضله برخاء اقتصادي هام جلب إليها الكثير من تجار طرابلس الغرب وفاس و تلمسان .

¹ مبخوت بودواية : كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، مطبعة الديوان ، الجزائر ، 2007 ، ص ، ص ، 50 - 52 .

² محمد فاضل داري وسعيد ابراهيم كردية، المرجع السابق ، ص 117 .

³ هوارية بكاي : العلاقات الزبانية سياسيا و ثقافيا ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية الآداب و العلوم الغنسانية و العلوم الاجتماعية ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 2007 - 2008 ، ص ، 08 .

⁴ نعيم قداح : المرجع السابق ، ص 73 .

الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

اعتمد اقتصاد مملكة سنغاي بالدرجة الأولى على تجارة الذهب و الملح إضافة إلى سيطرتها على الطرق التجارية الرئيسية بين الشمال و الجنوب وبفضل الأمن و الاستقرار الذي كانت تعيشه المملكة نجحت التجارة جدا و عم الرخاء و الثراء في الحكومة و الشعب جميعا .

ولقد ارتبطت المملكة بعلاقات قوية مع بلدان المغرب العربي وبمكان واد النيل ووصلت إليها جميع البضائع من أوروبا ومن الشرق ومن المغرب وقد ضمت مملكة سنغاي أهم المدن التي اعتبرت مراكز تجارية و هي : غاو ، جني .
أ / غاو : تعتبر أهم الحواضر في المملكة ومقر إقامة السلطان ، وهي مدينة عتيقة على نهر النيجر ، جنوب مدينة تادمكت يتبع مراحل¹ ، وقد بلغت درجة كبيرة من التطور و الازدهار بحيث باتت عامرة بالسكان و المباني .
كما يوجد بها تجار أثرياء وترد إليها الأقمشة من غرب أوروبا ويوجد بها سوق للرقيق .

ب / جني : تعتبر مركزا اقتصاديا هاما اشتهرت بتجارة الملح ، و الذهب وساعد موقعها الممتاز في منطقة محاطة بالمياه بالإضافة إلى ثروتها الحيوانية و السمكية و الزراعية ولاسيما القطن الذي يشتريه التجار المغاربة لتصديره إلى أوروبا مقابل أواني غاسية و أسلحة وغيرها .
ومن هنا نجد تدفق التجار على المدن السودانية خاصة " جني " التي وصفت بأنها سوق عظيم من أسواق المسلمين وكان يلتقي بها تجار الملح و الذهب²

¹ الإدريسي : المصدر السابق ، ص 11

² جمال دنون طه : مدينة فاس في عصر المرابطين و الموحدين ، دراسة سياسية وحضارية (448 هـ / 668 هـ) ، ط1 ، دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر ، مصر ، 2002 ، ص 240 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري

بين الإقليمين

أولا : صادرات بلاد المغرب الأوسط نحو السودان الغربي

ثانيا : واردات بلاد المغرب الأوسط من السودان الغربي

-الذهب

-العبيد

-الدرة اللمطية

-سلع أخرى

ثالثا: أساليب التعامل التجاري بين الإقليمين

-الصيارفة

-البنوك

-السفجة

-القراض

-الكراء

-الوكالة

رابعا : انعكاسات التبادل التجاري بين الاقليمين

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

أولا : صادرات بلاد المغرب الأوسط نحو السودان الغربي :

إن كمية السلع المتبادلة بين المغرب وبلاد السودان كانت كبيرة مما دعا الإدريسي إلى القول بأنها كانت " بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال¹ ، كان وفيها مما شجع تجار بعض المدن الجنوبية إلى إرسال قوافلهم إلى بلاد السودان - أما السلع الصادرة إلى السودان فكثيرة إلا أن الملح كان أشهر سلعة يحملها التجار إلى السودان ذلك أن ملوك " غانة " كما يقول ابن حوقل كانوا في حاجة ماسة إلى هذا الملح² وكان المغاربة يحصلون عليه من مناجمه في " تاتل " و " أوليل " ومنها يتجه إلى بلاد السودان . والذي يؤكد أهميته في التجارة أن العمل في تلك الجزيرة كان متصلا ليلا حفر عنه كباقي المعادن و الجواهر³ وتسببت ندرة الملح مع حاجة الإنسان الطبيعية لمادته ، إلى أن صارت قيمته أعلى من الذهب حتى أن سعر الحمل منه كان 200 إلى 300 دينار⁴

-ولقد احتل الملح مكانة هامة لدى التجار وأصبح له وزن خاصة كسلعة ثمينة غذ صار بمثابة العملة اليوم ، يتعاملون به في حياتهم العادية إذ يقول البكري " وتجارة أهل بلد كوكو بالملح هو نقدهم"⁵

ومن بين المعادن الأخرى التي تصدرها بلاد المغرب إلى السودان معدن النحاس الذي أهميته إلى عهد دولة " غانة " ⁶ " نظرا لتوافره بكثرة خصوصا في منطقة أيجلي ، التي يعمل على شكل سبائك ن ومنها يتجه إلى بلاد السودان ويتضح أن النحاس كان يستعمل كزينة إن يقول الحميري : " يسافر التجار من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة وجهازهم الملح وعقد و خشب الصنوبر . وخرز الزجاج و إسورة من نحاس أحمر وحلق و خواتم نحاس لا غير ⁷ .

¹ الإدريسي ، صفة المغرب و أرض السودان ومصر و الأندلس ، المطبعة الشرقية ، لندن أمستردام 1969، ص 66.

² ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 101 .

³ البكري، المصدر السابق ، ص 171 .

⁴ ابن حوقل ، المصدر السابق ، 101 .

⁵ نفسه ، ص 183 .

⁶ عيسى بن الذيب ، التجارة في عصر دولة المرابطين ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، 1990 ، ص 141 .

⁷ ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ص 12 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

- كما شملت صادرات المغرب أيضا بعض المواد الغذائية مثل القمح و السميد¹ على الرغم من أن القمح كان يزرع في السودان إلا أن الكمية التي تنتج منه غير كافية لسد حاجات السكان ، ومن ثمر كانت القوافل تحمل منه أحمالا كبيرة إلى بلاد السودان .
- واستوردت غانة أيضا الفواكه المجففة لانعدامها تماما في بلاد السودان ، وشملت السلع المغربية أيضا الألبسة و ثياب الصوف و العمام و المآزر و الزجاج و الأصدا ف ، و الحجار الكريمة و الآفاوية و العطر ، وبعض الآلات المصنوعة من الحديد².

ثانيا : واردات بلاد المغرب الأوسط من السودان الغربي:

كانت القوافل المتجهة إلى بلاد السودان تعود محملة بسلع مختلفة ومنها :

- **الذهب** : فقد ذكر اليعقوبي أن في ملك غانة معادن الذهب وتحديدده عدة ملوك في بلادهم الذهب ، وأشار الإدريسي أن " بلاد ونقارة هذه هي بلاد الذهب³ وذكر البكري من جهته أن أفضل الذهب في بلاد غانة ما كان بمدينة غياورا ، ويضيف أن مدينة كوغة أكثر بلاد السودان ذهبا ، لا يوجد جالام ، ويذكر أن السودان الغربي ظل المحمول الرئيسي للعالم الغربي بمادة الذهب منذ القرن 08 ميلادي من اكتشاف .

وعلى أية حال ، فإن الذهب في السودان قد عرف طريقه إلى تاهرت وغيرها من مناطق المغرب الأوسط ، فإن الإمام عبد الوهاب يقول في إشارته وافتخاره بدور ذهبه في قيام الدولة الرستمية " لولا أن ومحمد بن جرنى وابن زلعين لحزب بين مال المسلمين أنا بالذهب ومحمد بن جرنى بالحرث وابن زلعين بالأنعام⁴.

وتظهر وفرة الذهب في بلاد المغرب الأوسط في سك تقودهم دنانير، وتتجلى وفرة الذهب بشكل أوضح في الأموال التي حملها الفاطميون معهم عند رحيلهم إلى مصر .

¹ الحميري ، المصدر السابق ، ص 435 .

² عيسى بن الذيب ، المرجع السابق ، ص 142 .

³ الإدريسي ، صفة المغرب ، المصدر السابق ، ص 08 .

⁴ الشماخي ، كتاب السير ، ط2 ، القاهرة ، 1301 هـ ص 205 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

والتي أسهم تجار المغرب الأوسط في جلبها إلى جانب تجار ولاية إفريقية واستمر تدفق ذهب بلاد السودان بعد رحيل الفاطميين وبما أن المنطقة شهدت في هذين القرنين ازدهارا عمرانيا و اقتصاديا ، وبما أن هذه الوضعية جاءت بعد عهد من الحروب و الفوضى ، فإنه من المرجح أن صناعة المحلي الذهبية كانت واسعة وتطلبت كميات وافرة من الذهب على أن هذا الذهب مستعمل محليا ، في صك النقود أو صناعة الحلبي ، كان يمثل جزءا من الذهب المستورد في بلاد السودان الغربي ، كانت تجارة ذهب السودان هامة بالنسبة لتجارة المغرب الأوسط في أنه سلعة ثمينة يمكنها أن تفي بتسديد أثمان البضائع المستوردة من بلاد المشرق الإسلامي وما وراء البحر وغير ذلك .

- **العبيد** : يبدو أن هؤلاء كانوا في الأغلب من العبيد السود ، وقد أفاد الأصطخري وابن حوقل وغيرهما إلى أن " الذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان " وبما أن قوافل المغرب قد وصلت تلك البلاد عادت محملة بالعبيد السود ورغم ما كان يلاقيه التجار من عناء في جلبهم إلا أنهم لم يتوقفوا عن ذلك ، إلا أن المصادر لا تشير إلى ثمن العبد في بلاد السودان ويبدو أنه كان رخيصا بسبب وفرة العبيد في بلادهم في تلك الفترة ، ولم يكن التجار يدفعون قيمته نقدا ، بل مقايضة بنا حملوا إلى بلاد السودان من سلع¹ .

ولم يكن هدف التجار إغراق الأسواق النخاسة بالعبيد من أجل الاستعمال المحلي بل كانوا يصدرونهم إلى مختلف الجهات فمن المرجح أنهم ، تجار المغرب الأوسط وعلى أية حال ، فغن التجار برقيق السودان لقيت منافسة من منابع أخرى ، ومع تعدد الموارد هذه إلا أن الطلب على عبيد السودان الغربي ظل قائما بدليل القوافل التي كانت تتجه شرقا على بلاد الإسلامية المحملة بهم².

تأتي أهمية بلاد السودان الغربي كمورد للعبيد إلى جانب الموارد الأخرى في انقطاع سبل الحصول على الأسرى بسبب توقف الفتوحات الإسلامية ، ثم أن المنطقة التي كانت

¹ جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق، ص 225 .

² عبدالكريم يوسف جودت الالمرجع السابق ، ص 228 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

مسرحا لهذه الفتوحات أصبحت إسلامية تضم مسلمين لا بل استرقا قهم ، وتضم أهل الذمة تعميمهم الشريعة الإسلامية¹ .

- **الدرق اللطية** : ذكر الإدريسي أنه بمدينة نول تضع الدرق اللطية التي لا شيئا بدع ولا صلب منها ظهر ولا أحسن منها صنعا ، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة حملها ، وهي مستمدة من حيوان اللطى المتوفر في بلاد لمطة ، ويذكر ابن حوقل أنه " من سجماسة إلى محطة معدن الدرق اللطية عشرون يوما² ، ويوجد في بلاد لمتوتة أيضا ومنها أوغست .

ويبدو أن التجار كانوا يجدون في جلبها نظرا لأهميتها في الحروب فغمروا الأسواق المحلية بها ثم صدروها إلى البلاد الأخرى .

فقد كانت تشكل إحدى الصادرات إلى بلاد المشرق الإسلامي ، وكانت تصدر على الأندلس ، بل إنها كانت تقدم هدايا كدليل على أهميتها ، فقد اشتملت هدية زيري بن عطية إلى المنصوري بن أبي عامر على ألف درقة من جلود اللط³ وقد أشار القزويني إلى أن " قيمة كل واحد منها ثلاثون دينارا " .

- **سلع أخرى** : كان التجار يجلبون الجلود من بلاد السودان خاصة جلود النمر و النمر نفسها ، إذ كانت إحدى السلع التي ترد المشرق الإسلامي من المغرب وهي هامة في صناعة السروج ، وقد نالت إعجاب الجاحظ ، فعبر عن ذلك بقوله أن خير النمر البربري الموشح ، وهو يصفها بأنها صغيرة " مقدار الجلد منها ما يغشى سرجا منفردا ثمن الجلد خمسون دينارا⁴ .

¹ موريس لومبار ، المرجع السابق ، ص ، ص ، 294 - 298 .

² ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 91 .

³ ابن خلدون ، العبر ج 4 ، المصدر السابق ، ص 66 .

⁴ الجاحظ أبو عثمان ، التعبير بالتجارة ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد ، 1966 ، ص 30 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

ومنها جلد حيوان البطي الذي يعمل المجن وذكر القزوني أن ثمن المجن الواحد ثلاثون دينارا ، ومن خاصيته أن الحديد لا يؤثر فيه¹ .

ويحمل من بلاد السودان الغربي أيضا الذبل من ظهور السلاحف حيث تصنع منه :
العين ضمادا و ذرورا لإخراج القذى و النفعة من الغشاوة ، ومن الرمد و كما أشار إلى أنه يؤثر به " من بلاد السودان من كوار وغيرها من بلدانهم " كما ذكر ابن البيطار من الأدوية المجلوبة " جوز الشرك " ، وذكر أيضا ابن البيطار " فلفل السودان " ينفع من وجع الأسنان² .

ويظهر أن بعض حيوانات بلاد السودان كانت من بين السلع المجلوبة مثل النمر و الفيلة و الأسود و الزرافات ، وربما كانت بعض الحيوانات التي تضمنتها هدية زيري بن عطية مجلوبة من بلاد السودان . وكان منها " دابة من دواب المسك ومهارة وحشية تشبه الفرس و حيوانات غريبة³ " .

ومن المرجح أن هذه الحيوانات كانت تجلب وهي صغيرة ثم تتم تربيتها في بلاد المغرب .

ثالثا : أساليب التعامل التجاري بين الإقليمين :

خدمت النقود الحركة التجارية ، وسهلت عملية التبادل التجاري ، ولم يكن اختلافها بين الدول الإسلامية ، عائقا إذ أن نقود دولة ما ، كانت مقبولة في الدول الأخرى وعلى أية حال ، فإن استعمال النقود كقطع معدنية في التجارة الخارجية تظل مسألة صعبة فكان على التاجر أن يحمل نقوده معه في حله وترحاله ، وهذا ما يعرضه للخطر ، كأن

¹ القزويني ، أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت ، ص 26 .

² ابن البيطار : المصدر السابق ، ص 95 .

³ ابن خلدون ، العبر،المصدر السابق ، ج4 ، ص 66 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

يتعرض لغزو يقوم به قطاع الطرق ، أو ضياع أمواله ونحو ذلك إلا أن هذا الأمر قد خفت حدته بوجود الصيارفة¹.

-**الصيارفة** : أشار ابن الصغير إلى وجود الصيارفة في تاهرت ، ومنهم أبو محمد الصيرفي في القرن الثالث الهجري ، وهي إشارة كافية للدلالة على وجودهم في أنحاء المغرب الأوسط ، خاصة المراكز التجارية .

ويعتبر البيروني أن الصرف هو " مزاولة الصرف بين العين و الورق في التفاضل بين النقود المختلفة².

وكان الصيرفي يقوم بما تقوم به البنوك حاليا ، فهو يتبدل نقودا بنقود ، وهو يدين من أراد الاستدانة ، كما أنه مستودع للأمانات ، كانوا بعض الناس يودعون أموالهم عنده ، ثم يمكنهم أن يسحبوا المبالغ التي تلزمهم منها حتى رغبوا لهذا الصيرفي من الأثرياء ويؤدي خدمة جليلة لحررة التجار .

-**البنوك** : يشير أرشيبالد إلى أن أساليب أعمال البنوك قد تقدمت كثيرا ويضيف أن الحوالات المحسوبة على رجال المصارف من أهل المشرق و القابلة للصرف في بلاد المغرب ، فقد قامت مقام النقود في السودان في القرن الرابع الهجري وكان السعر السائد لعمولة الشيكات و الحوالات عشرة في المئة³ ولكي تتصور مدى دولية هذا التعامل المالي ، علينا أن ننظر إلى البلاد التي كان يجوبها التجار المسلمون من مشارق الأرض إلى مغاربها .

ويذكر ه . إدريس أن الرجل كان يرسل بضاعة إلى تاجر فيقوم هذا بتحويل ثمنها إلى مرسلها بواسطة البنك ، أي أن الرجل صاحب البضاعة هو المحول إليه و التاجر البائع

¹ عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق ، ص 236 .

² البيروني أبو الريحان ، الجماهير في معرفة الجواهر ، ط1 ، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، 1355 هـ ، ص 242 .

³ أرشيبالد ، القوى البحرية و التجارية في البحر الأبيض المتوسط ، تعريب أحمد محمد عيسى ، مطبعة مصر القاهرة ، ص 263 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

هو المحول و البنك هو الوسيلة ، ويزيد ناصر خسر وعمل البنك وضوحا ، فيذكر أن العمل كان بأن يعطي التاجر ماله للطرف ، ويأخذ منه صكا ثم يشتري كل ما يلزمه ويحول الثمن على الطرف أي يرسل البائع إلى الصراف ليقبض ثمن سلعته وبهذا كان التاجر لا يستخدم شيئا غير صك الصراف لحالما يقيم بالمدينة ، ومن المرجح أن هذا الأسلوب من التعامل كان معروفا في بلاد الغرب الأوسط ، ويذكر ابن حوقل أنه رأى " باودغست صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أورغست وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين دينارا¹ " ، ويبدو أن الصك كان في العادة يعمل البسملة في أعلاه ثم النص المتعلق بالحق " هذا اشترى ... " ويذكر فيه الطرفين ، وهما حامله ومقدمه ، بالإضافة إلى أسماء شهود عدل ، وقد يحمل تاريخ كتابته .

-السفتجة : وهي تلعب دورا هاما في تنشيط التجار بالوظائف التي تؤديها فهي يمكن أن تكون أداة لنقل النقود أو أداة ائتمان وهذا السفتجة تسهل للمشتري شراء ما يلزمه من السلع دون أن يكون مضطرا لدفع قيمتها نقدا عند الشراء ، كما تساعد البائع على تصريف سلعته بالسهولة التي يقدمها للمشتري في كيفية الدفع ، ومن مميزات هذه الوسيلة أن السند الذي يحرره المشتري للبائع هو قابل للتداول في أي مكان أثناء عبور الطريق فإذا احتاج حامل السند إلى بيعه في بلد ما أمكنه ذلك باللجوء على المصرف .

ولا شك أن الرجل الذي يقدم السند كان يحقق أرباحا بهذه العملية ، الأمر الذي دعا القاضي النعمان أن يصدر فتوى في هذه المسألة يرصف فيها السفتجة ، ذكر جعفر بن محمد " رخص في السفاتج وهي المال يفرضه لرجل بأرض ويقضيه بأرض أخرى " ثم يؤكد على هذا المعنى فيذكر أنه " لا بأس في أخذ المال على أن يعطيه بأرض أخرى ويتجر به ويضمنه² .

¹ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ، ص 96 ، 65 .

² القاضي النعمان : كتاب الاقتصار ، تحقيق محمد وحيد ميرزا ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، دمشق 1379 هـ / 1957م ، ص 88 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

-الشركات : يفيد القاضي عياض أن الشركة كانت معروفة في ذلك الوقت في مدن الغرب الإسلامي و القيروان والشركات على ثلاثة أنواع :

1-**شركة المفاوضة** : يتساوى الشريكان في رأس المال إذ يفترض التكافؤ بينهما كما يتساويان في الربح و الخسارة ولكل منهما حق التصرف برأس المال حسب ما يراه مناسبا .

2-**شركة العنان** : يطلق العنان فيها لكل منهما ، فيساهم بما شاء من رأسمال وبذلك يمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة حسب مساهمة كل منها أو مسؤوليته أو نوع التجارة ، وهي تعقد بينهما على أساس الوكالة كما يمكن أن يتباين الربح رغم المساواة في رأس المال ، ويمكن أن تكون الشركة لمختلف البضائع أو لصنف معين .

3-**شركة الوجوه** : وهي يمكن أن تحمل اسم شركة (المفاليس) لأنها يشرعان في العمل التجاري دون رأس مال بل أنهما يشتريان ويبيعان بالنسيئة واعتمادا على حسن سمعتها ويبدوا أن العلماء أنكروا هذا النوع¹ وعلى أية حال فإن هذا النظام قد وفر رأس مال وجهدا وهذا ما يزيد التجار ازدهارا .

-**القراض** : يقوم القراض على أن يقدم شخص ثري مبلغا من المال لرجل يستخدمه في التجارة مقابل نسبة معلومة من الربح كأن تكون النصف أو الثلث أو غير ذلك ، وقد يكون القراض في البضائع ، فيقدم تاجر بضاعة لرجل يبيعها ثم يستعمل ثمنها في التجارة قرضا .

ويظهر أنه كان يقع في باب القراض بعض المخالفات و المنازعات مما أوجب على بعض العلماء أن يؤلف الكتب في هذا الموضوع فذكر القاضي عياض أن القاضي بن طالب " الف كتاب القراض ثم أكثر كتاب الصرف² " على مسامع أبي العباس إسحاق الصائغ .

¹ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري ، بغداد ، 1948 ، ص 128 .

² القاضي عياض : المصدر السابق ، ص 375 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

-**الكراء :** قد يملك التاجر رأس المال الكافي لكنه لا يملك وسائل السفر وفي هذه الحالة يمكنه أن يجد حلا باكتراء المراكب أو الحيوان ، ويرى هـ . ر إدريس أن السفن كانت تؤجر للتجار الذين كانوا يرافقونها أولا وقد يكون جزء من حمولتها لأصحابها فمن المرجح و الحالة هذه أن مراكب تاهرت في مرسى فروخ كانت وسائل نقل عامة لمن أراد الاكتراء وبطبيعة الحال كانت تقع بعض المنازعات بين الطرفين فقد يعطب المركب أو يموت الحيوان في الطريق مما تطلب تدخل الفقهاء .

-**الوكالة :** تريح الوكالة التاجر من عناء ومثقة السفر ذهابا وإيابا وبشكل مستمر إذ يمكنه أن يرسل بضاعة إلى وكيله مع بقاءه في بيته ، فما عليه سوى أن يعد القافلة وهذا النظام يخدم من تترفع نفسه عن ممارسة العمل التجاري كالقضاة .

-بالإضافة إلى المؤسسات في خدمة التجارة مثل الفنادق و الحانات و الحمامات و المطاعم من المؤسسات التي تخدم التجارة الداخلية و الخارجية¹ .

رابعا : انعكاسات التبادل التجاري بين الاقليمين:

-و النتيجة أن بلاد المغرب الأوسط قد شهدت تجارة خارجية مزدهرة دلت عليها القوافل العديدة التي سارت إلى مختلف الجهات وذلك لتوفير عدة عوامل مساعدة على هذا الازدهار ، وقد كان الرخاء الذي شهدته البلاد من أبرز هذه العوامل ، إذ ازداد الطلب على المنتجات و السلع من بلاد المجاورة و البعيدة ، ويبدو أن هذا الازدهار قد وصل درجة معينة في القرن الثالث الهجري و التاسع ميلادي إلا أن درجة هذا الازدهار قد ارتفعت في القرن الذي يليه خاصة باتجاه السودان نظرا لحاجة الفاطميين إلى الذهب و العبيد وقد اعتبر بعض المؤرخين الصراع الذي شهدته البلاد ، هو صراع على السيطرة على المراكز و الطرق التجارية خاصة ذات الصلة بالتجارة مع السودان .

-وقد لعبت بلاد المغرب الأوسط دورا هاما في هذا الميدان ، فاستفادت من تجارتها الذاتية أولا ومن اعتبارها جسرا ومعبرا وملتقى للقوافل التجارية من جميع الجهات ، ثم

¹ عبد الكريم يوسف جودت : المرجع السابق ، ص 244 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

استفادت أيضا من تجارة العبور ، أي أنها تستورد سلعا من بلاد معينة لتصديرها إلى بلاد أخرى ، فلم يكن الذهب المجلوب من السودان يستقر كله في بلاد المغرب الأوسط ومثله العبيد بل كان يعاد تصديره لبعضه إلى الخارج¹ .

حركة السكان المستمرة بين الشمال والجنوب ، تبعها تمازج بشري وتلاقح لغوي وديني واقتصادي وديني واجتماعي . فقد تخطت المؤثرات الثقافية الإسلامية والحضارية المغربية الصحراء إلى بلاد السودان² ، وبما أن كل مدينة سودانية هامة كانت تستضيف جالية مغربية تتكون من التجار و الفقهاء والمدرسين ، تزوج معظمهم بسودانيات مسلمات ، فقد شاعت التقاليد والثقافة المغربية في بلاد السودان . لذلك يبدو أن انطباع الثقافة والحضارة السودانية بالطابع المغربي شيء طبيعي . وأصبح المتنقل إلى المدن المغربية والسودانية لا يشعر بكيبر فرق في أساليب المعيشة وطرق التعامل³ .

الإسلام الذي أشع على بلاد السودان من بلاد المغرب كان في فتراته الأولى محتويا على الكثير من عناصر المعتقدات التي سبقت الإسلام في بلاد المغرب ، من ديانات سماوية أو بربرية ، ويظهر هذا جليا من مسألة التوريت . فالسوندك مثلا ، الذين كانوا يورثون من جهة الأب منذ القدم⁴ ، ما إن وقعوا تحت تأثير صنهاجة الصحراء ، الذين يورثون من جهة الأم ، حتى تأثروا بهم ، فقد أورد البكري أن أهل غانا يورثون من جهة الأم⁵ .

العلاقات المتطورة بين بلاد المغرب والسودان في العصر الإسلامي ، أدت إلى انتقال العديد من المعارف والعادات الاجتماعية ، من جانب إلى الآخر . وقد أعار الكتاب العرب الأوائل بعض المظاهر الاجتماعية ، مثل الطقوس والملبس والعادات أهمية كبيرة ، ومن ملاحظاتهم تلك يمكن أن نستنتج مدى التأثير في هذه المجالات ، علما بأن بعض الجوانب الحياة في كل لم تتأثر بالجانب الآخر⁶ .

العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان أدت إلى انتقال الموازين الإسلامية إلى بلاد السودان . فقد وجد في كل من اودغشت وكومبي وصالح ، موازين يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى . ربما أدى ازدياد الطلب على الذهب في الشمال من القرن الرابع

¹ - عبد الكريم يوسف جودت: المرجع السابق ، ص 245 .

² - حسن احمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار النهضة العربية ، 1963م ، ص 230 .

³ - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 82 .

⁴ - الحسن نعمة عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 194 .

⁵ - البكري ، المصدر السابق ، ص ص 174-175 .

⁶ - الحسن نعمة عبد السلام ، المرجع السابق ، ص ص 198 ، 237 .

الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين

للهجري ، إلى إرساء أسس الموازين في بلاد السودان ، وقد كان أثر الفاطميين واضح على الأوزان الزجاجية التي وجدت في أودغست¹.

ومن الأشياء التي كان انتقال التقنيات منها من الشمال إلى الجنوب ثابتا ، ولعيد الأثر ، كان فن العمارة . كشفت الأبحاث الأثرية تأثير النماذج المعمارية الإباضية في بلاد السودان ، خاصة عمارة المساجد . فبناء المأذنة المدرجة والمحراب المثلث وغياب المنبر ، في بعض المساجد من بلاد السودان ، يوضح بجلاء الأثر المغربي والإباضي في هذا الشأن ، وهو أمر لازال موجودا في وادي ميزاب في جنوب الجزائر².

¹¹-ج.دفييس ،التجارة والطرق التجارية غرب افريقيا "تاريخ افريقيا العام"،اليونيسكو ،مجلد 3،فصل 14،ص437.

²-ج.دفينس ،المرجع السابق ،ص 474.

الخاتمة

ومما سبق ذكره لقد تبوَّ المغرب الأوسط أهمية كبيرة بفضل موقعه الجغرافي المتميز الذي يتوسط المغربين الأدنى والأقصى، فهو حلقة وصل مابين القطرين، زيادة على أهميته كمحطة توقف وعبور مهمة لمختلف أنواع القوافل.

فقد عرف المغرب الأوسط حركة تجارية واسعة وانتعاشا كبيرا كما برزت مدن أدت دورا رئيسيا وبارزا في الحركة التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، الذي كان يعتبر منطقة لتجارة كثيرة ومربحة جدا.

وتنوعت المبادلات التجارية بين المنطقتين حيث أن تجار المغرب الأوسط اخذوا معهم المنتجات الفلاحية والصناعية خاصة الملح، الذي كان يشكل تجارة مربحة جدا والذي وجد بمنطقة تغازي بكثرة.

وتنوعت المراكز التجارية مابين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي، كما ساهمت حواضر المغرب الأوسط في توصيل البضائع التي تحتاجها حواضر السودان الغربي من مواد غذائية كالحنطة والتمور ومواد أولية للصناعة كالجلود وغيرها.

تعددت الطرق التجارية مابين حواضر المغرب الأوسط وحواضر السودان الغربي فاشتهرت مدن غدامس و ورجلان كنقطة انطلاق أو وصول للقوافل التجارية في المغرب الأوسط كما اشتهرت نظيرتها في ممالك السودان الغربي ككوكو، عانة وتادمكة الخ.....

كما تنوعت المواد والبضائع محل تبادل بين حواضر المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي، فأما المواد التي كانت تصدرها حواضر المغرب الأوسط فالغالب عليها أنها غذائية كالتمر والملح زيادة على الجلود وأما المواد الواردة من حواضر ممالك السودان فالغالب عليها تعدينية وكمالية كالذهب والتبر والعقاقير بالإضافة إلي أنياب الفيل الموجهة إلى صناعة العاج.

كما أدت القوافل التجارية دورا هاما في تنشيط وتدعيم الحركة التجارية خاصة من حيث جلب الذهب الذي كان يجلب بكثرة باعتباره المنشط الهام للتجارة والأساسي في تجارة المغرب الأوسط حيث سيظل السودان طوال ستة قرون يغذي مصانع ضرب العملة الذهبية في بلاد المغرب الأوسط.

ويدعم حركة التبادل التجاري بين بلاد السودان والمغرب الأوسط، ويبدو أن تجارة الرقيق أصبح السودان الغربي مصدر جديد وغني وكان له دور بارز في تاريخ التجارة

المغربية خاصة وانها تشكل المصدر الأول لتجارة العبيد ابتداء من القرن الثاني والرابع الهجري كما أن العبيد أصبحوا يشكلون المنتجة الأساسية في جميع ميادين النشاط الاقتصادي.

كما يلاحظ كثرة الطرق والمسالك التجارية ما بين ضفتي المغرب الأوسط ممالك السودان الغربي تأثرت بدورها بالعامل السياسي وتوفر أو انعدام الأمن.

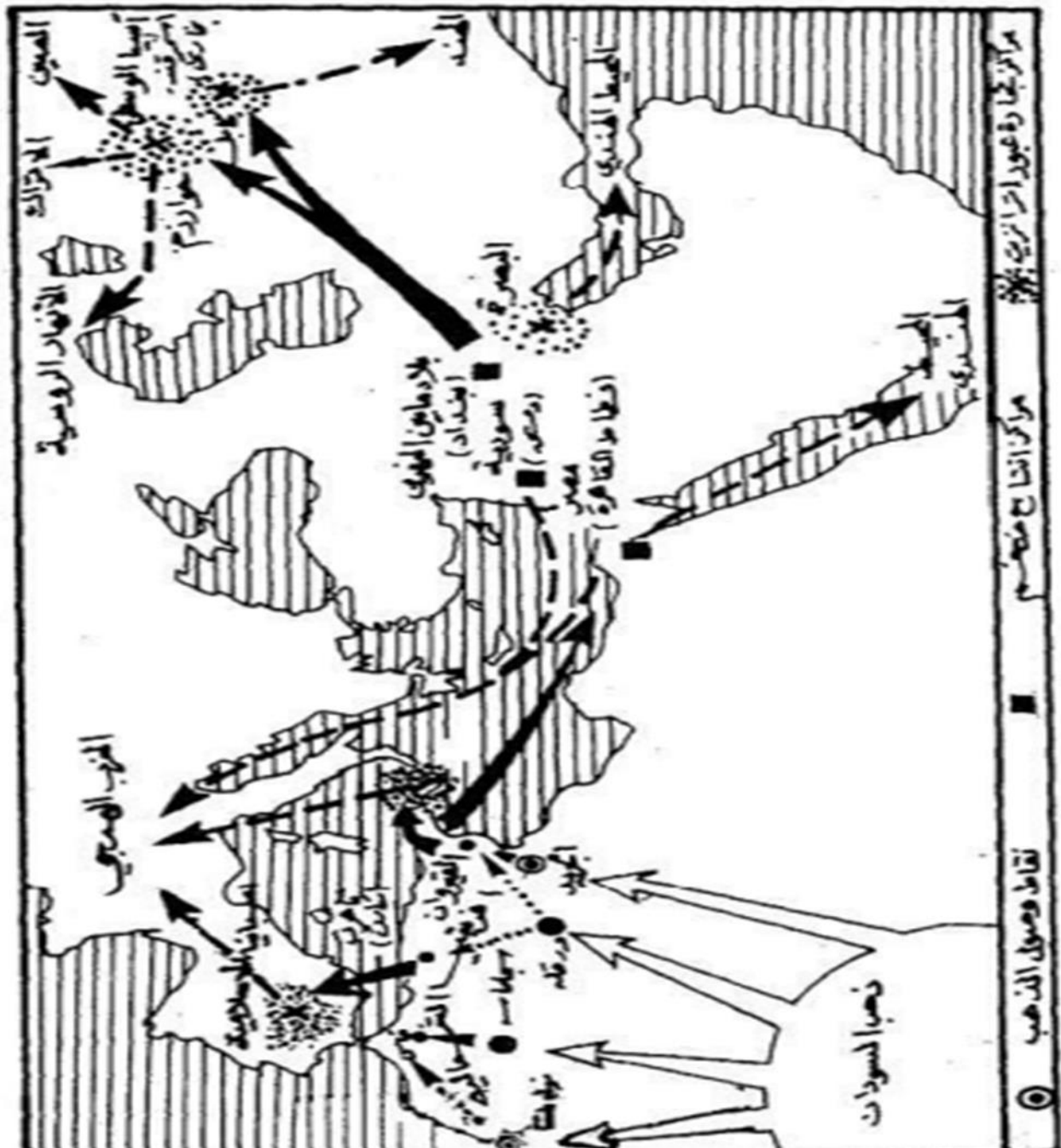
الملاحق

الملاحق

الملحق رقم: 1

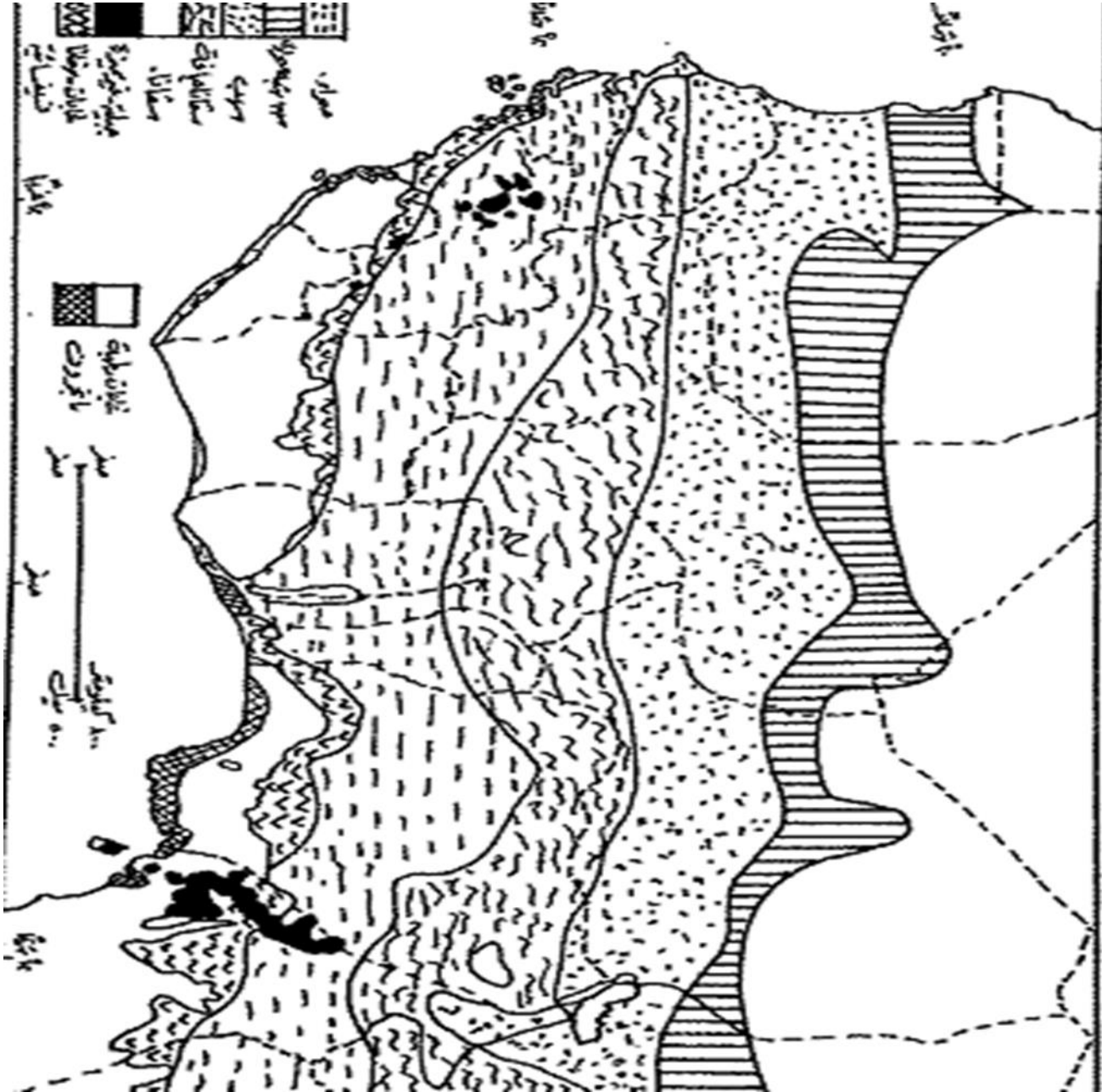
رسم بياني يوضح تجارة الذهب والدروب التي يسلكها التجار من

السودان الغربي نحو بلاد المغرب



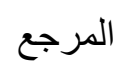
المرجع: موريس لومبارد: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر: عبدالرحمان حميدة، دار الفكر، دمشق، 1198م، ص 158.

خريطة تبين الغطاء النباتي لمنطقة السودان الغربي.



المرجع: ج. هوبكنز: التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: احمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، (د،ب) ، 23 ص ، 1998 م ،

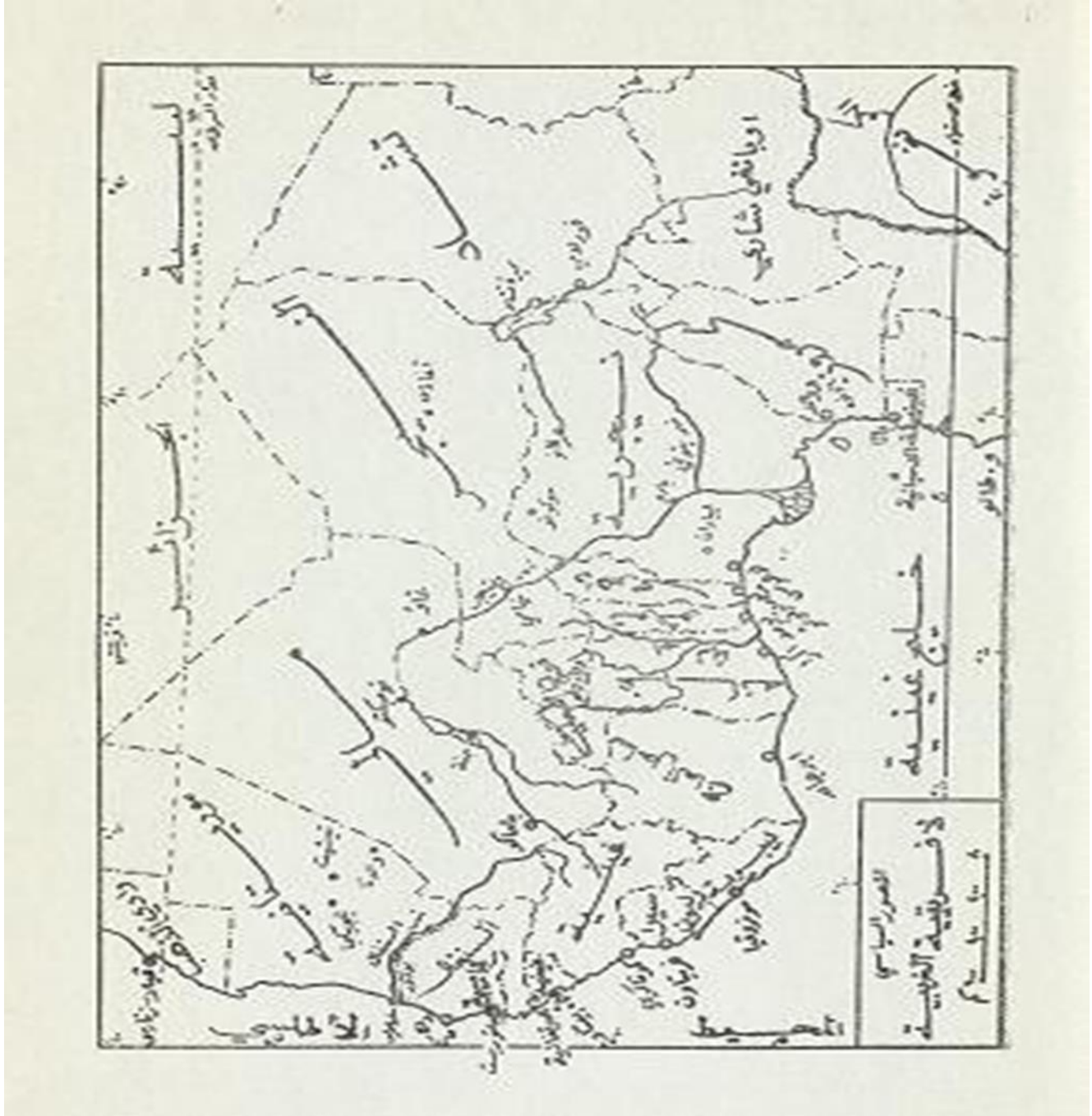
خريطة تبين الموقع والحدود الجغرافية لمملكة غانة.



نعيم قداح: المرجع السابق، ص 28.

الملحق رقم

خريطة تبين موقع افريقيا الغربية.



المرجع:

نعيم قداح: المرجع السابق، ص 3.

قائمة المصادر والمراجع

أولا :المصادر.

- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تح ، محمد شمام ، تونس ، 1967.
- ابن أبي زرع ،أبو زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفارسي (ت ق:8هـ/14م) ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تصحيح وطبع كارل يوحنا بوزنبرغ ، دار الطباعة المدرسية ، 1963م.
- ابن الأبار ،أبوا عبد الله محمد بن أبي بكر القاضي (ت 658هـ/1260م)،الحلة السيرة،تح ،حسين مؤنس ، ط1، القاهرة ، 1963م.
- ابن البصال ،عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي ،كتاب الفلاحة ، معهد مولاي الحسن تطوان 1955.
- ابن البيطار ،الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ،القاهرة ،المطبعة العامرة ، 1261هـ.
- ابن الصغير ،كان حيا أواخر ق3هـ/9م ،تاريخ الأئمة الرستميين ، نشر مونتلسكي أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد في الجزائر م ، باريس، 1908 .
- ابن الفقيه ، ابوا بكر احمد ابن محمد الهمذاني ،(ت بعد 209هـ/902م)، مختصر كتاب البلدان ،مطبعة برلين ، ليدن ، 1302هـ/1885م.
- ابن بطوطة ابوا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن براهيم اللواتي (ت 779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة ، تحفت النضار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ، تح :كرم البستاني ،دار الفكر .
- ابن حوقل ،أبو القاسم النصيبي (ت بعد 367هـ/977م)،صورة الأرض ، بيروت ، 1962.
- ابن خلدون ، عبد الرحمان محمد (ت808هـ/1405م)،العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج6،دار الكتاب اللبناني ، 1958.
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيرفونتانا الشرقية ، الجزائر ، 1321هـ/1903م.
- ابن سعيد المغربي عبد المالك(ت ق 672هـ/1274م)، المغرب في حلي المغرب ، تح ، شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ، 1953م

قائمة المصادر والمراجع

- بسط الأرض في الطول والعرض ، تح ، خوان قرنيط ، معهد مولاي حسن ، تطوان ، المغرب ، 1958م
- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تر ، عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربي ، 1961.
- ابن عذارى المراكشي (ت ، أواخر القرن السابع هجري) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1 ، تح ، س. كولان وليفي بروفنسال ، ج1 ، دار الثقافة ، بيروت1.
- ابن فضل الله العمري ، وصف إفريقية والأندلس ، نشر حسن حسني عبد الوهاب ، تونس .
- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر ، ج2 ، المطبعة الحسنية المصرية ، ط2.
- أبوا الفضل ، جعفر بن علي الدمشقي ، الإشارة إلي محاسن التجارة ، تح البشري الشريجي ، الإسكندرية ، 1397هـ/1977م.
- أبوا الفضل الدمشقي (ت ق 6هـ / 12م) ، الإشارة الي محاسن التجارة ، البشري الشريجي ، ط1 ، مطبعة الغد ، الإسكندرية ، 1397هـ/1977م.
- الإدريسي ، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/1166م) ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مطبعة برلين ، ليدن ، 1968.
- الأنصاري شمس دين ، نخب الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الأكاديمية ، الإمبراطورية للنشر والتوزيع ، 1865م .
- الباروني ، سليمان بن عبد الله ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ق4.
- البكري ، أبو عبد الله بن العزيز (ت 487هـ/1094) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة مصر .
- البيروني أبوا الريحان ، الجماهير في معرفة الجواهر ، ط1 ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، 1355هـ.
- تراجم أغلبية ، نشر محمد طالبي ، الجامعة التونسية ، تونس ، 1968م.
- الجوزري ، أبوا علي منصور العزيزي ، (ت أواخر ق 4هـ/10م) ، سير الأستاذ جودر ، تح ، كامل حسن ومحمد عبد الهادي شعيرة ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، 1954م.

قائمة المصادر والمراجع

- الحافظ أبو عثمان، التبصير بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1966.
- الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق حسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.
- الدباغ أبو يزيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي (ت 669هـ/1297م)، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تح إبراهيم شيوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م.
- رسائل إخوان الصفا، ج1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1376هـ/1957م.
- السلاوي أبو العباس بن خالد الناصري، (ت 1397/315م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تح، جعفر محمد الناصر، الدار البيضاء، 1951.
- الشماخي أحمد بن سعيد، كتاب السير، تح، أحمد بن سعود، ج2، وزارة التراث القومي والثقافة العمانية، ط2، 1992.
- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن أبي عبد الله بن حيون، (ت 363هـ/ 973م)، رسالة افتتاح الدعوة، تح، وداد القاضي، مطبعة دار الكتب، ط1، بيروت، 1970م.
- القاضي عياض، موسى بن عمرو اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام الإمام مالك، تح، أحمد بكير حمود، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1367هـ، 1967.
- القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت 821هـ/1418)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تع، نبيل خالد الخطيب، ج5، بيروت، 1987.
- كتاب الجغرافيا، منشورات الكتب التجارية، ط1، بيروت، لبنان، 1970.
- المراكشي، محيي الدين أبو محمد عبد الواحد (ت 446هـ/1248م)، المعجب في تلخيص أخبار العرب، تح، محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963.
- المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليفن وأندري فيري، ج2، بيت الحكمة والدار العربية للكتاب، قرطاج، 1992.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، ط4، 1962.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 378هـ/988م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة برلين، ليندن، 1906.

قائمة المصادر والمراجع

- مؤلف مجهول مراكشي (ت ق6)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- الوزان حسن، ابن محمد الفاسي، (ت 956هـ / 1549م)، وصف إفريقيا، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.
- وصف شمال إفريقيا الشمالية الصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر، هنري بيرس، الجزائر، 1957.
- ياقوت الحموي، بن عبد الله شهاب الدين الرومي (ت 627هـ / 1229)، معجم البلدان، ج1، طباعة دار بيروت، 1957.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب الواضح، البلدان، طبع مطبعة بريل، ليدن، 1891.
- *تاريخ يعقوبي، ج1، مطبعة الفراء النجف، 1358هـ.

قائمة المصادر والمراجع

ثانيا : المراجع

- أبو القاسم محمد مصطفى ،مصطلح السودان في المصادر العربية والاجنبية ،مجلة الدراسات العليا ،جامعة النيلين ،ع/14، ج1.
- ابوا النصر عادل ، تاريخ الزراعة القديمة ، ط1 ، 1960م.
- آداموا مهدي، الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط " تاريخ إفريقيا العام " ، لينسكوا ، المجلد 4 ، الفصل 11.
- أرشبالد ، القوا البحرية والتجارة في البحر الأبيض المتوسط ، تعريب، احمد محمد عيسي ، مطبعة مصر ، القاهرة.
- باري محمد فاضل علي وكردية سعيد إبراهيم ، المسلمون في غرب إفريقيا ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ،2007م.
- بصيلي الشاطر عبد الجليل ، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر ميلادي ، القاهرة ، 1972م.
- بيلتوا نافذ أيوب وشاكر محمود ،مالي ، المكتب الإسلامي ،دمشق ،سوريا 1977م.
- تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي الى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ج1، ط1، دار الحديث النشر والتوزيع ، بيروت 1996م،
- جمال دنون طاهة ، مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين، دراسة سياسة وحضارية (484هـ- 668هـ) ، ط1 ،دار الوفاء للدنيا الطباعة والنشر ، مصر 2002م.
- جميلة بن موسى ،تجارة الذهب بين الغرب الإسلامي و السودان الغربي في القرن 9م ،منشورات بلوتو ،قسنطينة ، الجزائر ،2011م.
- الجناحي الحبيب ، المغرب الإسلامي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1398هـ/1978م.
- جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و 4 هـ، دوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
- الحريري محمد عيسي ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، ط3 ،كلية الآداب جامعة المنصورة ، 1987م.
- حساني مختار ،تاريخ الدولة الزيانية ، منشورات الحضارة ، الجزائر ،2009م.

قائمة المصادر والمراجع

- حسن على حسن عبد العواد، دولة الادارسة بالمغرب قيامها وتطورها حتى القرن الثالث هجري ،رسالة الماجستير بكلية العلوم ،1967.
- حسونة محمد أحمد ،أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية ،مكتبة النهضة ،مصر ،1960.
- حقي إحسان ،الجزائر العربية ،منشورات الكتب التجارية ،ط1 ،1961.
- دائرة المعارف الإسلامية ،ج5.
- دفينس .ج،التجارة والطرق التجارية غرب إفريقيا "تاريخ إفريقيا العام"،اليونسكو ،مجلد 3 ،فصل 14 ،ص ص 403-479 .
- الدولة الحمادية تاريخها وخضارتها ، دوان المطبوعات الجامعية ،1977م.
- دي ، في ، جي ، تاريخ غرب إفريقيا ، تر ، السيد يوسف نصر ، ط1 ، 1982م.
- رشيد بوروبة ، الفن الرستمي بتاهرت وصادرتة ، مجلة الأصالة ، ع 41 ، الجزائر ، 1977 م .
- زبادية عبد القادر ،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493هـ-1591م،الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر .
- زرقانة إبراهيم، المغرب العربي ،معهد الدراسات الإسلامية .
- زيادة نيقولا ، إفريقيا دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ،رياض الريس للكتب والنشر ،لندن ،1991.
- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، دار المعارض ،1965م.
- السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب الكبير "العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية"، دار النهضة .
- شلبي أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط3 ، 1978م، ج6.
- الطاهر احمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1963م .
- عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ، 1948 م .
- العدوي البراهيم ،بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي،مكتبة الأنجلوا المصرية ،1970.
- غربي بغداد ،العلاقات التجارية بالدولة الموحدية ،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ،إشراف محمد بن معمر ، جامعة وهران ،2015.

قائمة المصادر والمراجع

- قداح نعيم، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، مراجعة عمر الحكيم ، وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- لانجي ديرلك ظن ممالك تشاد وشعوبها "تاريخ إفريقيا العام" ، اليونسكو ، مجلد 4 ، فصل 10.
- لومبيار موريس ، الإسلام في مجده الأول ، تر ، إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1979م.
- مبخوت بوا داوية ، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، مطبعة الدوان ، الجزائر 2007م.
- محمد دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج1 ، 1964.
- محمود حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار النهضة العربية ، 1963.
- مؤنس حسين ، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة ، 1947م.
- *تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ج1، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1996.
- نعمة عبد السلام الحسين ، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي الي نهاية العصر الفاطمي (ق 1-5هـ) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراء ، في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 1999م
- هو بكنز.أ.ج، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، تقديم ، محم ج عبد الغاني سعودي، تر ، احمد فؤاد بلح ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 م .

المقالات

- الجنحاني الحبيب ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجل ماسة عاصمة بني مدرار ،مقالة منشورة في كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ، منشورات شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1998.
- المستعين عبد الباسط ، التلاقح الحضاري بين حواضر المغرب الأوسط والسودان الغربي والأوسط ، موقع قراءات تفريقية الالكترونية ، التاريخ : 2018/11/24 . لتوقيت 09:00 ، (مقالة الكترونية ، العدد: 30).

رسائل الماجستير

قائمة المصادر والمراجع

- هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر 2007-2008.
- عيسى بن الذيب، التجارة في عصر دولة المرابطين، رسالة ماجستير، القاهرة، 1990.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....	أ
الفصل التمهيدي :التعريف ببلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي.....	4
أولا :التعريف ببلاد المغرب الأوسط.....	5
1-الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط.....	5
2-سكان بلاد المغرب الأوسط.....	8
ثانيا :التعريف ببلاد السودان الغربي.....	9
1- الإطار الجغرافي لبلاد السودان الغربي.....	9
2-سكان بلاد السودان الغربي.....	10
3- لغات أهل السودان الغربي.....	11
الفصل الأول : المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي.....	12
أولا :المؤهلات الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط.....	13
1-النشاط الزراعي.....	13
أ-المنتجات الزراعية.....	15
-القمح والشعير.....	15
-الخضر والبقول.....	15
- الفواكه.....	16
- الزيتون.....	16
-التمر.....	16
- منتجات زراعية أخرى.....	16

ب- تربية الحيوان	17
- الخيل	17
- البغال	17
- الأغنام	17
- البقر	18
- الابل	18
- النحل	18
- الطيور	18
- صيد البحر	18
لنشاط الصناعي	18
أ- عوامل ازدهار الصناعة	19
الصناعات والمهن الرئيسية	20
لنشاط التجاري	22
ثانيا :المؤهلات لاقتصادية لبلاد السودان الغربي	24
أ- المناخ	24
ب- التضاريس	25
-المنطقة الشمالية	25
-المنطقة الوسطى	26
- المنطقة الجنوبية	26
ج-المياه	26
- نهر السنغال	26
- نهر النيجر	26
- الانشطة الاقتصادية بالسودان الغربي	26
أ- النشاط الفلاحي بالسودان الغربي	26

28.....	ب- النشاط الصناعي بالسودان الغربي
29.....	ج- لتجارة بالسودان الغربي.....
31....	الفصل الثاني : الطرق التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي.....
32.....	أولا : أهم الطرق التجارية.....
35.....	ثانيا : المراكز التجارية الفاعلة في العلاقات.....
38.....	أ- أهم المراكز التجارية في المغرب الأوسط
39.....	- تيهرت
40.....	- تلمسان.....
40.....	- بجاية
40.....	ب – أهم المراكز التجارية في السودان الغربي
40.....	- غانة
41.....	- كوكو.....
42.....	- مالي
43.....	- سنغاي
45.....	الفصل الثالث : السلع المتبادلة وطرق التعامل التجاري بين الإقليمين.....
46.....	أولا : صادرات بلاد المغرب الاوسط نحو السودان الغربي
47.....	ثانيا : واردات بلاد المغرب الاوسط من السودان الغربي
47.....	- الذهب
48.....	- العبيد.....
49.....	- الدرة اللمطية
50.....	- سلع أخرى.....
50.....	ثالثا: أساليب التعامل التجاري بين الإقليمين
51.....	- الصيارفة
51.....	- البنوك
51.....	- السفطة
52.....	- القراض.....
53.....	- الكراء.....
54.....	- الوكالة.....

54.....	رابعاً : انعكاسات التبادل التجاري بين الإقليمين
57.....	خاتمة
59.....	الملاحق
64.....	قائمة المصادر والمراجع
73.....	فهرس المحتويات